

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسلام

فكرة وحركة وانقلاب

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتنى يكن الفكرية الإنسانية

مُقَدِّمَةٌ

الإسلام . يخوض اليوم معركة مصير، ومن حقه على أبنائه والسائرين في دربه أن يدودوا عنه وينافحوا دونه بكل ما يلمون من إمكانيات فكرية ومادية ومعنوية... ومعركة المصير هذه ينبغي أن تستنصر أهل الإيمان في كل مكان لسد الثغرات وحماية الجبهات التي يمكن أن يتسلل منها إلى الإسلام خصومه وأعداؤه... ومسؤولية العاملين في الحقل الإسلامي . في هذه الفترة . مسؤولية ضخمة ودقيقة. ويقدر البذل يكون الجزاء، وعلى قدر الجهد يأتي العطاء... وهذا الكتاب ... صورة مصغرة للمعركة التي يخوضها الإسلام على جميع الجبهات.. وعرض سريع للدور الذي تطلع به (الحركة الإسلامية) المعاصرة.. وجلاء لبعض الجوانب من تاريخها المشرق... وهو كذلك كشف لخصائص الإسلام الفكرية والانقلابية مقارن بخصائص الحركات والاتجاهات العقائدية والسياسية الحديثة. وإنني لأسأل الله تعالى أن تتحقق به الفائدة ويكتب فهي الأجر... وعلى الله قصد السبيل...

والله أكبر والله الحمد

المؤلف.

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

الإسلام

بين المبدأ والتطبيق

ليس من قبيل المبالغة القول بأن التحديات (الفكرية والسياسية والغوغائية) التي يتعرض لها الإسلام في العصر الحديث تفوق - ضخامة وشراسة - كل التحديات التي واجهتها الحركات الأخرى مجتمعة... ولو تعرض لمثل ما تعرض له الإسلام نظام آخر من الأنظمة الوضعية لعفى أثره، وانطوى ذكره، ولم يعد له في واقع الحياة أدنى وجود.

ولكنه الإسلام... المنهج الإلهي الخالد الذي كان يستعصي بخصائص البقاء على معاول الهدم، ويخرج من كل صراع قوياً منتصراً، مؤكداً على الزمن أبديته التي جعلها الله إحدى صفاته المميزة حين قرر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ {الحجر: ٩}.

إنهم الإسلام بالرجعية... واعتبر متهموه الدعوة إليه عوداً بالبشرية إلى الوراء وتخلفاً عن ركب الحضارة والمدنية آلاف السنين. جاء في الموسوعة السوفياتية الكبيرة، وفي الصفحة (٦١٥. ٦١٩) من الجزء الثاني عشر: (إن الإسلام لعب على الدوام كغيره من الأديان الأخرى دوراً رجعياً... وكان دائماً أداة في أيدي الطبقات الرجعية المستغلة لإرهاق الطبقات العاملة، وأداة للإستعمار الأجنبي الرامي إلى استعباد شعوب الشرق... إن السنة والقرآن كليهما يبرران النظام الطبقي والاستغلال.... إلخ).

ثم جاء من يعتبر الإسلام تجرية من التجارب التي مرت بالحياة العربية ليس إلا، وأنه قد استنفد أغراضه وليس لديه مقومات البقاء والنماء والعطاء... فقد جاء في الصفحة (٥١) من كتاب (في سبيل البعث) لميشيل عفلق قوله: "فهذه الأمة التي أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة إفصاحاً متعددًا متنوعاً، في تشريع حمورابي، وشعر الجاهلية. ودين محمد وثقافة المأمون فيها شعور واحد... إلخ).

وأنهم الإسلام بأنه نظرية (تجريدية) وفلسفة (مثالية) غير قابلة للتطبيق...

وهكذا ذهب أعداء الإسلام في اتهاماتهم مذاهب شتى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ {الصف: ٨}.

عوامل نشوء هذه الشبهات

لقد تسبب وساعد على نشوء مثل هذه الشبهات وقيام أمثال هذه الحملات المسعورة من التضليل والتشكيك في وجه الإسلام عوامل كثيرة، منها:

١ - غيبة الوجود (الحركي) للإسلام عن قيادة الأمة فترة طويلة من الزمن، مما أدى إلى تطاول خصومه في نجوة من وجود حكومة إسلامية تدافع دونه وترد عنه شائعات الحاقدين.

٢ - إصابة الأمة (فكرياً ونفسياً) بلوثات مادية جانحة من تأثير الحضارة الغربية الغازية...

٣ - تسلل الفكر اليساري (الماركسي) إلى المجتمع الإسلامي يسوق أمامه فيضاً من التصورات والآراء والطعون بكل فكرة (دينية) على الإطلاق، نتيجة لردة الفعل التي أحدثتها انحرافات الكنيسة الأوروبية عن إطار المسححية الروحي...

٤ - جهل المسلمين بحقيقة دينهم وخصائص إسلامهم وأفاق شريعتهم، مما جعلهم لقمة سائغة للاتجاهات والمذاهب المادية التي غزت العالم الإسلام في مطلع القرن العشرين.

هذه الأسباب وغيرها عملت . على الزمن . على عزل الإسلام عن الصراع الحياتي الذي تخوضه الأمة... وألبسته ثوباً كهنوتياً ليس منه... وبالتالي أدت إلى نشوء أجيال من المسلمين لم تطلع على الإسلام إلا من زوايا مظلمة زادت من نفرة وانفلاتاً... حتى أصبح الإسلام بأفكاره وأخلاقه ومبادئه في واد وأصبح المسلمون (المنتسبون إليه) في واد آخر لا يمت إليه بصلة من الصلاة على الإطلاق...

ولو أدرك المسلمون أن الإسلام:

❖ صحية الحرية في وجه العبودية

❖ وصيحة المساواة في وجه الطبقيّة

❖ وصيحة العدالة الاجتماعية في وجه الإقطاع والرأسمالية.

لو أدرك المسلمون أن دينهم هذه خصائصه ومبادئه لما وجدت الاتجاهات الاشتراكية والشعبوية منفذاً إلى بلاد الإسلام، ولما أصبحت المجتمعات الإسلامية سوقاً (عامّة) لعرض المبادئ المستوردة والشعارات الكاذبة المزيفة...

وليسمع شباب الإسلام والمثقفون منهم بوجه أخص ما يقوله (اللورد استانلي) وكان نصرانياً فأسلم، وكان يتحدث عن الأسباب والعوامل التي حدثت به إلى اعتناق الإسلام، قال استانلي: (لو أغمط الفضل و أهله، أو أجدد الله وعلمه... أنا مسلم... رأيت أثر الإسلام وقدرته في نفس حق قدره.. وهو عندي عزيز لأنني رأيت الفرق بينه وبين الأديان المنسوخة، ولأنني رضيت به بعد بحث واجتهاد، فلا أقبل به بديلاً، أنا مسلم أهزأ بكل ما يحيط بي من مظاهر المدنية... فصحيحها الحق من كتاب الله وقرآنه... وباطلها المذاع لا يلبث أن تبرهن الأيام على بطلانه..)

خصائص المنهج الإسلامي

إن الإسلام يمتاز بخصائص ذاتية هي فواصل جذرية وفوارق أصيلة وبين الاتجاهات والمذاهب الحديثة..

الحاكمية لله

فالحاكمية في المنهج الإسلامي لله... لا لفرد، ولا لحزب، ولا لشعب.
فلا ديكتاتورية لفرد... ولا تسلط لحزب... ولا حاكمية لشعب في تشريع الإسلام.
والحقيقة أن معظم المظالم الاجتماعية والاقتصادية، ومظاهر الاستبداد السياسي منشؤها خضوع الحاكمية لتشريع زمني وضعي وسلطة بشرية...
فالنظام الديمقراطي يجعل الحاكمية للشعب... ويجعله مصدر السلطات... منه وإليه يعود كل أمر... وبذلك يكرس التميع (الفردية) والانتفاخ (الشخصي) مما لا يتحقق معه هيبة في الحكم أو أمن وسلام في المجتمع...

إن شعور الفرد في ظل النظام الديمقراطي بأنه مصدر القوانين والتشريعات ينمي فيه بواعت الاستهتار بالقوانين والتشريعات... ويعطيه من أسباب السطوة ما يجعله قادراً بنفوذه الشخصي والمادي على تسخير السلطة لمصالحه ورغباته... وبالتالي يمنحه حق التلاعب بالقوانين ووضعها بما يتلاءم مع أهوائه وأغراضه...

يقول (مارتن دودج) في كتابه (أعرف مذهبك) صفحة ١٨ في معرض حديثه عن الديمقراطية: (وفكرة الديمقراطية تتلخص في أن يحكم الناس أنفسهم دون أن يكونوا رعايا. ذلك أن الناس لهم المقام الأول والصدارة، ثم تليهم في المرتبة الثانية السلطة الحاكمة. وفي ظل النظام الديمقراطي يحكم المجتمع نفسه من أجل نفسه....).

أما النظام الشيوعي، فإنه يكرس حاكمية (الحزب الواحد) للأمة بأسرها... وبذلك يعطي الحزب نفسه حق سن القوانين واستصدار التشريعات بما يكفل له البقاء والسيطرة في الحكم.. وهو بذلك نظام سياسي يقبض بمقتضاه الحزب على زمام السلطة في بلد يخضع أفراده عموماً لما يفرض عليهم وعلى شؤون حياتهم من إجراءات...

فالحزب الشيوعي في (روسيا) مثلاً، هو الحزب السياسي الوحيد والحاكم... ومع ذلك فإنه لا يمثل الشعب الروسي أصدق تمثيل، إذ يبلغ عدد أعضائه ستة ملايين فقط من أصل ١٨٠ مليوناً، وهي كما نرى نسبة ضئيلة جداً...

وبهذا لا يمكن أن تكون حاكمية (الحزب الواحد) في أي نظام من أنظمة الحكم مصدر استقرار وعدالة ومساواة. طالما أن الذين في أيديهم السلطة يخضعون كل شيء لمصالحهم الشخصية والحزبية.

وبين هذين الاتجاهين المتطرفين يقوم (المنهج الإسلامي) فوق قواعد تشريعية يخضع لها الحاكم والمحكوم على حد سواء.. وينصاع لها الكبير والصغير دونما تمايز أو تخصيص..

فالحاكمية في النظام الإسلامي ليست لشعب . كما هو الشأن في النظام (الديمقراطي). كما أنها ليست لحزب كما هو الحال في النظام (الشيوعي) وسائر الأنظمة (الاشتراكية)... وهي كذلك ليست لفرد كما هو الأمر في النظم (الديكتاتورية) وإنما هي (لله) خالق الكون ومالكه، وهذا ما قرره الدستور الإسلامي في كثير من آياته: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ...﴾ {يوسف:٢٧}، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ...﴾ {الشورى:١٠٠}، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ...﴾ {النساء:١٠٥} .

والإسلام يحقق هذه الحاكمية الربانية عن طريق (قانون إلهي) يتضمن الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم وفسرتها وفصلتها سنة رسول الله ﷺ.

فالإسلام منهج متفرد في خصائصه... لم تضع أحكامه ونظمه وتشريعاته أهواء حاكم أو مصلحة حزب... إنما وضعتها عدالة السماء... فلا تمييز ولا محاباة، ولا أنانية ولا تحكم، ولا حزبية ولا سطوة، وإنما الجميع أمام شرع الله سواء...

عدالة لا تعرف ظلماً ولا عنتاً ولا تفاضل...

ومساواة تطبق على الجميع من غير محسوبيات أو استثناءات.

وهاكم بعض الشواهد من دستور الله الخالد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ {المائدة: ٨}، ﴿وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ..﴾ {المائدة: ٤٩}، ﴿..فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ..﴾ {المائدة: ٤٨}.

وروي أن امرأة من بين مخزوم سرق، فقالت قريش: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ أي ليضع عنها الحد، فلم يجدوا إلا (أسامة بن زيد) حب رسول الله ﷺ يقوى على ذلك، فلما كلم أسامة رسول الله ﷺ، بذلك، قال رسول الله ﷺ غاضباً: ((أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة))، ثم قام وخطب الناس قائلاً: "أيها الناس إنما ضل من كان قبلك أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها...))

ومن وصايا عمر بن الخطاب ﷺ لسعد بن أبي وقاص: (إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء)... وفي وصيته لخليفة من بعده يقول: (اجعل الناس عندك سواء. لا تبال على من وجب الحق. ثم لا تأخذك في الله لومة لائم. وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله...)

الشمول لا الجزئية

ومن خصائص المنهج الإسلامي شموله وكليته.. فالإسلام ليس تصوراً (عقيدياً) فحسب... ولا ديناً (عبادياً روحياً) وكفى... ولا نظاماً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً مجرداً.. ولكنه منهج حياة. يجمع إلى رقة (التوجيه) دقة (التشريع)، وإلى جلال (العقيدة) جمال (العبادة) وإلى إمامة (المحارب) قيادة (الحرب).

إن المنهج الإسلام لم يكن ردة فعل لسوء أوضاع اقتصادية ليكون نظاماً اقتصادياً شأن الماركسية وسائل المذاهب الاشتراكية... كما أنه ليس مدرسة روحانية شأن المسيحية...

إن الإسلام منهج متكامل الجوانب شامل النظرة.. فيه تنظيم علاقة الفرد بنفسه... وعلاقته بأسرته... وعلاقته بمجتمعه... وعلاقة مجتمعه به.. وفيه بيان للأصول والقواعد التي تقوم عليها النظم والقوانين التي تحكم سير المجتمع والناس وفق نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة.

يقول جيببون: (القرآن مسلم بأنه الدستور الأساسي، ليس لأصول العقدية فحسب، بل وللأحكام الجنائية والمدنية، وللشرائع التي عليها مدار حياة النوع الإنساني وترتيب شؤونه، وبعبارة أخرى، هو القانون العام للعامل الإسلامي، فهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية).

الفطرة لا التطرف أو المالية

ومن خصائص المنهج الإسلامي أنه دين الفطرة... اعترف للإنسان بحاجاته الروحية والعضوية، وقيمه تقيماً إنسانياً، مراعيًا ذلك نوازعه الفطرية كلها، محققاً التناسق والتوافق بينها جميعاً...

فالإسلام لم ينظر إلى الإنسان نظرة (مادية مجردة) لا تتعدى هيكله الجسدي ومتطلباته الغريزية شأن الشيوعية وسائر المذاهب المادية.. في الوقت الذي لم يحرمه حقوقه البدنية وحاجاته البشرية.

فلم يكن الإسلام (أبيقورياً)^(١) في إطلاقه للغرائز والشهوات من غير تنظيم ولا تكييف... كما لم يكن (رواقياً)^(٢) في فرض المثالته الخيالية، وإعدام المتطلبات الغريزية في الإنسان.

وفطرية الإسلام جسدت في مبادئه (النظرة الواقعية) وأفردته بخصائص التوفيق والتنسيق بين المادة والروح. وهذا ما ينطق به مدلول الآية الكريمة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا

^١ - نسبة إلى الفلسفة التي وضعها أبيقور عام ٣٤٣ ق.م، والتي تعتبر اللذة أساس الأخلاق- وأنه وحدها غاية الإنسان- وهي وحدها الخير.

^٢ - نسبة إلى الفلسفة التي وضعها زينو القبرصي عام ٣٤٢ ق.م، والتي تعتبر الشهوة شراً محضاً يجب إبادته...

إِنَّا وَسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ..» {البقرة: ٢٨٦}، ويقول الشهيد سيد قطب في تفسير هذه الآية: (إنها العقيدة التي تعترف بالإنسان إنساناً لا حيواناً ولا ملكاً ولا شيطاناً... تعترف به كما هو بكل ما فيه من ضعف وكل ما فيه من قوة. وتأخذه وحده مؤلفة من جسد ذي نوازع، وعقل ذي تقدير، وروح ذي أشواق. وتفرض عليه من التكاليف ما يطيق، وتراعي في التنسيق بني التكليف والطاقة بلا مشقة ولا إعنات)^(١).

الاطمئنان العقيدي لا القلق الوجودي

ومن خصائص المنهج الإسلام أنه عرف (الإنسان) على نفسه وسر خلقه وسبب وجوده... فحل بذلك عقدة من أخطر العقد في الحياة البشرية.

لم يترك الإسلام الإنسان في الكون وحيداً بلا عماد... حائراً من غير هدى.. يجابه مصيره بمفرده... ويحدد طريقة لوحده... ويحكم نفسه بنفسه...

لقد أجاب الإسلام على كل الأسئلة التي طرحها (الوجوديون) قديماً وحديثاً والتي أرادوا من ورائها التفتت من كل القيوم والحدود ليعيشوا أحراراً. كما يزعمون. وهم في الحقيقة (عبيد) وأكثر من عبيد...

فالإسلام لم يعتبر (الوجود) بلا غاية كما يزعم (سارتر) ولم يعتبره وجوداً (سخيفاً) في عالم لا معقول... ولم يعتبر أن الإنسان موجود فيه لا أكثر ولا أقل.. لا يعرف من أين أتى.... ولا إلى أين هو ذاهب... كذلك لم يعتبر الإنسان مسيراً بدون إرادة تسوقه الطبيعة كالحيوان...

بل إن الإسلام جعل للإنسان عقلاً يفكر به ويستفتيه، وإرادة يتحرك بها كيفما شاء وأنى شاء... وجعل لخلق سبباً ولوجوده هدفاً وللحياة الإنسانية غاية...

خلق الإنسان ليلوه فيما آتاه ويخبره فيما أعطاه أيكفر أم يشكر ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ {الإنسان: ٢: ٣}.

وطالبه بتسخير نفسه وأعضائه ودفع غرائزه وميوله في طريق الخير ضماناً لعمارة الأرض، وتحقيقاً لرسالة الاستخلاف: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ {المؤمنون: ٧٨} ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

^١ - تفسير في ظلال القرآن، للشهيد سيد قطب.

{المؤمنون:٧٩}، إلى قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ {المؤمنون:١١٥:١١٦} .
 فالإنسان في الإسلام صاحب رسالة يعمل على أدائها، وله غاية يسعى للوصول إليها..
 إنه يدرك أن حياته رحلة ينبغي أن يقطعها وفق الخط الإلهي الذي يضمن له السعادة في الدنيا، والنعيم الأبدي في الآخرة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ..﴾ {النحل:٩٧} .

الانقلابية الجذرية لا الترقيع

ومن خصائص الإسلام أنه منهج انقلابي جذري... فهو يرفض أرباع الحلول وأنصافها، ولا يستسيغ التعايش مع الجاهلية، ويأبى الترقيع.. ولقد صدع الإسلام في عهد النبوة كل محاولة لمساومة أصحابه واستدراجهم لقبول بعض الحلول أو التنازل عن بعض الحق..

فهذه قريش تقترح على محمد أن يعبد آلتها شهراً لتعبد إلهه شهراً آخر، فينزل القرآن الكريم بالموقف الحاسم من أمثال هذه المساومات فيقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ {سورة الكافرون} .

وجاء عتبة بن ربيعة يوماً إلى رسول الله ﷺ يعرض عليه العروض السخية... يعرض عليه الملك والمال والسلطان على أن يترك الأمر الذي جاء به ويتخلى عن الإسلام، ولكن محمداً ﷺ التفت إليه مستعلياً بإيمانه معتزاً بإسلامه، قائلاً: ((ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)).

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

الإسلام

بين القابلية التطبيقية والنظرية الخيالية

قد يكون من نافلة الكلام أن نقول: إن البشرية لم تعرف في مدار التاريخ منهجاً (واقعي) الخصائص كالإسلام... فهو المنهج (الوحيد) الذي يغير مجرى الحياة الإنسانية، وأحدث في المجتمع البشري انقلاباً جذرياً شاملاً قوض كل الأفكار وكل الأخلاق وكل المعتقدات الجاهلية...

فالمنهج الإسلامي تجاوز نطاق النظريات (التجريدية)... وتجسدت مبادئه واقعاً حياتياً عاشه الناس وحفظه التاريخ ونطقت به الشواهد والأحداث..

من الشواهد التطبيقية في الإسلام:

أولاً - في نطاق العقيدة:

كان مبدأ (لا إله إلا الله) دفعة العقيدة في قلوب الناس، ومحرك الثورة الأصيل في نفوسهم، ورمز انخلاعهم من ضلالات الجاهلية وأوضارها وانصهارهم في بوتقة الدين الجديد...

وكان الجذوة المتقدمة التي حررت الإنسان من عبودية الأصنام، وكرمته عن اتخاذ الناس أرباباً من دون الله، وألزمته أفراد سبحانه بالربوبية والألوهية والخضوع والحاكمية....

فلم تكن (لا إله إلا الله) شعاراً تتحرك به الألسن من غير وعي، أو تردده الشفاه بدون إدراك... وإنما كان هتافاً ربانياً عميقاً يحدو القلوب إلى السماء، ويشدها نحو العلاء، فتمتلئ بقوة الله قوة.. وتحس في وصاله طمأنينة... وتغدو بجواره عزيمة كريمة...

بهذا الامتلاء العقيدي والعبق الإيماني كان العربي بعد الإسلام يقف أمام طواغيت فارس والروم يدعوهم إلى الإسلام باعتزام، ويبين تعاليمه بجرأة... ثم يحذرهم عاقبة جحودهم وكفرانهم، ويخيرهم بين الجزية والحرب...

ذكرت كتب التاريخ^(١) أنه قبيل معركة (القادسية) طلب رستم قائد الفرس من المسلمين أن يرسلوا إليه وفوداً ورسلاً منهم ليباحثهم ويباحثونه، ويفاوضهم ويفاوضونه،

^١ - تاريخ ابن خلدون - المجلد الثاني - القسم الرابع.

فندب المسلمون فيمن ندبوا (المغيرة بن شعبة) ليكون سفيرهم إلى رستم... فلما وصل إليهم وهم على زيهم ويسطهم (أدنى) من مجلس رستم... جاء وجلس معه على سريريه... فغضب وأمر بإنزاله عن السرير... فالتفت المغيرة إليهم قائلاً: (إنني لم أر أسفه منكم... إننا معشر المسلمين لا يستعبد بعضنا بعضاً... فظننتكم كذلك.... وكان أحسن بكم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض... مع أنني لم آتكم، وإنما دعوتموني. فقد علمت أنكم مغلوبون ولن يقوم لكم ملك على هذه السيرة).

وتكلم رستم فعظم من شأن فارس، ثم قال: (كانت عيشتكم سيئة.. وكنتم تقصدوننا في الجذب فنردكم بشيء من التمر والشعير... ولم يحملكم على صنعتم إلا ما بكم من جهد.. فنحن نعطي لأميركم كسوة وبغلاً وألف درهم... وكل رجل منكم حمل تمر، وتنصرفون، فلست أشتهي قتلكم...)

فلم يكن من المغيرة إلا أن التفت إليه قائلاً: (أما الذي وصفنا به من سوء الحال والضيق فنعرفه ولا ننكره.. والدنيا دول.. والشدة بعدها رخاء... ولو شكرتم ما أتاكم الله لكان شكركم قليلاً على ما أوتيتهم... وقد أسلمكم الله بضعف الشكر إلى تغير الحال... وإن الله بعث فينا رسولاً يدعوننا إلى كذا، فإن أبيتم فأمر أهون من ذلك فهو الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة).

ثانياً - في نطاق العبادة:

والعبادات في الإسلام ليست طقوساً جامدة، أو مراسيم ميتة لا هدف لها ولا غاية... بل إن الإسلام أرادها (مدرسة) للتربية و(مصنعاً) للأخلاق والمثل... أرادها معراجاً تسمو به النفوس وتحلق... ومصفاة تصفو بها الأرواح وتزكو... فالإسلام يحرص عن عباداته على نتائجها وآثارها... ويحاسب على مدى التفاعل بها فضلاً عن فرضية أدائها...

المدلول التطبيقي والهدف العملي لمبدأ (الصلاة) أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر... وأنه لا قيمة للصلاة عند الله. ما لم تؤد هذا الغرض فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ {العنكبوت: ٤٥} وقال الرسول ﷺ: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً))^(١)، وقال: ((كم من قائم حظه من صلاته التعب و))^(٢)، وقال: ((ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها)).

^١ - رواه الطبراني.
^٢ - أخرجه النسائي.

والمدلول التطبيقي والهدف العملي لمبدأ (الصوم) ترويض النفس وسائر الأعضاء على الطاعة، وأنه لا ثواب لمن صام وأفطرت جوارحه على البغي والفحش والفجور... وهذا ما يؤكد الإسلام في أحاديث كثيرة للرسول ﷺ يقول فيها: ((إنما الصوم جنة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم إنني صائم))، ويقول " كما من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش" ^(١)، ويقول: ((من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)). وجاء في الخبر: (أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار، حتى كادتا أن تتلفا، فبعثتا إلى رسول الله ﷺ يستأذنها في الإفطار، فأرسل إليهما قدحاً، وقال: ((قل لهما قيناً فيه ما أكلتما))، فقأت أحدهما نصفه دماً عبيطاً ولحمياً غريضاً... وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتها، فعجب الناس من ذلك، فقال الرسول ﷺ: ((هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما... فعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تغتبان الناس، فهذا ما أكلتا من لحومهم)) ^(٢).

وهكذا تستهدف فلسفة العبادة في الإسلام تحقيق الأثر الفعلي وحصول التحول الكيفي في حياة الناس...

ثالثاً: في نطاق التشريع:

كذلك القول في القواعد الأساسية التي يقوم عليها التشريع الإسلامي... فإنها تمتاز بقابليتها الأصلية واستعدادها الفطري للتطبيق.

فالتشريع الإسلامي ليس كسائر التشريعات المسطرة في بطون الكتب... البعيدة عن صميم حياة الناس... بل إن نزعته التطبيقية وخصائصه التنفيذية تجعله منهجاً ثورياً وحركياً وانقلابياً في كل إمكانات الثورة وكل متطلبات الحركة وكل حاجات الانقلاب.

فمن الشواهد التطبيقية لمبدأ (المساواة) في الإسلام... أن رسول الله ﷺ قلده أسامة بن زيد إمرة الجيش الإسلامي . وهو ابن عبد رقيق . وفي الجيش كبار الصحابة . وأن بلاطاً الحبشي ﷺ بلغ في الإسلام مقاماً عظيماً وشاءوا كبيراً جعل عمر بن الخطاب ﷺ إذا ذكره يقول (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا)... وأنه لما خرج المسلمون لفتح مصر... رغب

^١ - أخرجه النسائي.

^٢ - أخرجه أحمد.

المقوقس في المفاوضة... فأرسل إليهم وفداً ليعلم ما يريدو... ثم طلب منهم أن يبعثوا إليه وفداً منهم... فشكل عمرو بن العاص (قائد الجيش آنذاك) وفداً قوامه عشرة من المسلمين برئاسة عبادة بن الصامت، وكان شديد السواد طويلاً...

ولما دخل الوفد على المقوقس، تقدمهم عبادة... فأبى المقوقس أن يكلمه رجل أسود... وقال لمن معه: نحوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني . فقال الوفد جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً... وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا... وإنما نرجع إلى قوله ورأيه... وقد أمره الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله...

فقال لهم المقوقس: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟ قالوا: لا، إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً، وأفضلنا سابقةً وعقلاً ورأياً.... وليس ينكر السواد فينا...

ومن الشواهد التطبيقية لمبدأ (العدالة): أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفرض لجميع المسلمين عطاء من بيت المال، ويقول: والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد... وما أنا أحق به من أحد...

والله ما من المسلمين من أحد إلا وله في هذا المال نصيب، ولكننا على منازلنا في كتاب الله تعالى... فالرجل وبلاؤه في الإسلام... والرجل وقدمه في الإسلام... والرجل وحاجته... والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرضى غنمه.

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعلن مبدأ العدالة في كلام جامع قال فيه: " لا تقدر أمة لا يقضى فيها بالحق... ولا يأخذ الضعيف حقه في القوى". فقد أصبح القول عملاً والمبدأ واقعاً في حياة المسلمين وعلائقهم ومعايشهم. وتحقق فيهم قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا...﴾ {النساء: ١٣٥}.

بهذه النماذج (التطبيقية) كانت تتجسد مبادئ الإسلام التشريعية في حياة المسلمين... لم تكن شعارات للاستهلاك والمتاجرة... كما أنها لم تكن نظريات ومثاليات مجردة عاجزة عن التطبيق... عارية عن التصديق...

رابعاً - في نطاق الواقع:

كذلك فإن قيام المجتمع الإسلامي في عهد النبوة واستمراره زمناً ليس بالقصير دليل حاسم على قابلية الإسلام للتطبيق....

يقول (توماس كارليل): ما كاد الإسلام يظهر حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية.. وكل ما لم يكن بحق، فإنه حطب جاف أكلته نار الإسلام، فذهب والنار لم تذهب... ولقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور... وأحيا به منها أمة خاملة، وأرضاً هامدة، لا يُسمع لها صوت، ولا تحس فيها حركة منذ بدء العالم. فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه، ورسالة من قبله... فإذا الخمول شهرة... والغموض قد استحال نباهة، والضعفة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقاً وسع نوره الأنحاء، وعم ضوءه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب، والمشرق بالمغرب... ما هو غلا قرن بعد هذا الحادث، حتى صار لدولة العرب رجل في الهند، ورجل في الأندلس... وأشرفت دولة الإسلام حقياً عديدة ودهوراً مديدة، بنور الفضل والنبيل، والمروءة واليأس، والنجدة ورونق الحق والهدى على نصف المعمورة....)

الاتجاهات الحديثة والفضل التطبيقي.

ولو تخطينا الإسلام إلى سواه من الاتجاهات والمبادئ الفكرية والسياسية "الوضعية"... لرأينا أنها لا تزال تخبط في مجالات التطبيق خبط عشواء... فلا تكاد تستوي حتى تتعثر... ولا توشك أن تتقدم حتى تتقهقر... ويكفي أنها لم تقدم . حتى الآن . بين يدي الواقع ما يؤكد قابليتها التطبيقية... بل إن الفضل عنوان تجاربها ومحاولاتها الكثيرة المستمرة...

أ - فشل الاتجاه الماركسي:

يلاحظ المتتبع للتطورات الفكرية والسياسية في العالم آثار التخبط التي يعانيها الاتجاه الماركسي في مجالات التطبيق... وبخاصة في أرض التجربة الأولى في (روسيا)...

ففي أيلول عام ١٩٦١ نشرت جريدة (البرافدا) الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي مشروع برنامج جديد للحزب، يؤكد للمرة الثالثة خروج الحزب عن مبادئه الأساسية.. فقد تضمن المشروع فكرة الغاء النهج الثوري الذي تعتمده الشيوعية في هدم الكيان الرأسمالي والذي نصّت عليه الفقرة الواردة في الصفحة ٢٥ من كتاب (المادية الديالكتيكية) بما يلي (وبالتالي فالانتقال من

الرأسمالية إلى الاشتراكية وتحرير الطبقة العاملة من النير الرأسمالي... يمكن تحقيقها لا بتغييرات بطيئة ولا بإصلاحات، بل بتغيير كفي للنظام الرأسمالي، أي بالثورة). وهذا ما جعل . بيكين وموسكو . في السنوات الأخيرة مسرحاً لانشقاق كبير وخطير على مستقبل الاتجاه الماركسي نفسه...

وفضلاً عن جنوح المنهج الجديد الذي . نشرته الجريدة المذكورة . عن فلك النظام الأساسي للحزب الشيوعي خلال العشرين سنة المقبلة، فشل النظام الشيوعي خلال الأربعين سنة الماضية في خلق الأساس الأيديولوجي والمادي للمجتمع الشيوعي. وهذا يعني بدون شك أن الشيوعية كفكرة فقدت القدرة على ما (تسمية بالاحتمية التاريخية في الانتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية) ويعود منشأ هذا العجز، إلى أن النظرية الشيوعية لا تركز على أصول وقواعد عامة شاملة مرنة... مما عرضها إلى كثير من التعديل والتبديل في نظرياتها المنهجية والفكرية...

فمبدأ محو الملكية الفردية عدل عنه إلى حل وسط... وهو الاحتفاظ للدولة بالصناعات الثقيلة والتجارة الخارجية والمصارف والمشاريع العامة... كذلك عدل عن مبدأ توزيع السلع الاستهلاكية، فبدل أن كانت القاعدة (من كل قدرته ولكل حسب حاجته) أصبحت كما نص عليها الدستور السوفياتي المعدل عام ١٩٣٦: (من كل حسب قدرته ولكل حسب ما يؤديه من عمل، ومن لا عمل له ليس له الحق في أن يأكل)، ثم جاء المشروع الجديد الصادر عام ١٩٦١ يشير إلى أن الاتحاد السوفياتي سيطبق خلال العشر سنوات الواقعة ما بين (١٩٧١ - ١٩٨٠) مبدأ التوزيع حسب الحاجة... وبذلك يتراجع الشيوعيون مرة أخرى عن تعديل عام ١٩٣٦.

ومن شواهد الفشل التطبيقي لمبدأ المساواة في المجتمع الشيوعي... قول (كرين برنتون) في كتابه (الثورة الشيوعية عناصرها . تحليلها . نتائجها . صفحة ٣٣٥): يعيش الروس الآن . كما يعرف حتى المناصرون للشيوعية . في مجتمع يتفاوت فيه توزيع السلع الاستهلاكية ودخل الفرد تفاوتاً كبيراً.... فالسياسي الروسي ذو المكانة، أو مدير المصنع أو الكاتب أو راقصة الباليه، يتمتع هؤلاء بثروة مادية تجعل من المجتمع الروسي مجتمعاً يفتقر في أساسه إلى المساواة الاقتصادية بقدر ما يفتقر إليها أي مجتمع رأسمالي....).

وثمة شواهد كثيرة على إخفاق (الشيوعية) في مجالات التطبيق يضيق المجال لتعدادها...

ب - فشل الغرب في مجال التطبيق:

خُدع كثير من شبابنا بمظاهر المدنية الغربية... وظنوا أن نظافة القوم في مظاهرهم دليل على نظافة أرواحهم وضمايرهم... وأن سبقهم في ميادين الكشوف والاختراع يكفي لجعلهم مُثلاً علياً في كل شيء...

ولكن ما كانت المبادئ لتوزن في ميزان الحق بوفرة انتاجها الآلي، بل بما حققته في المجتمع من قيم أخلاقية وإنسانية.

والحضارة الغربية بهذا المقياس مُفلسة غاية الإفلاس... وإنما لا نجد من معاني الشعارات التي ينادي بها الغربيون إلا مظاهر التضليل والخداع...

يقول الأستاذ (جودا) أستاذ الفلسفة الإنجليزية في كتابه (سخافات المدنية الحديثة): أن المدنية الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق... فالأخلاق متأخرة جداً عن العلم، ومنذ النهضة ظل العلم في ارتقاء والأخلاق في انحطاط، حتى بعدت المسافة بينهما... وبينما يتراءى الجيل الجديد للناظر فتعجب خوارقه الصناعية وتسخير المدة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه، إذ هو يمتاز في أخلاقه... في شرهه وطمعه... في طيشه ونزقه... وفي قسوته وظلمه عن غيره... وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة... (إلى أن يقول): إذا هو لا يدري كيف يعيش!!

فشل الغربيين في تطبيق مبدأ المساواة:

ففي نطاق المساواة فشل الغرب فشلاً ذريعاً في تطبيق مبدأ المساواة العنصرية والطبقية بين الناس... فالتمييز العنصري لا يزال مشكلة المشاكل في أمريكا.. واحتقار البيض للمليونيين في البلد الذي يدعي الحرية كرسته القوانين الرسمية بنفسها... فالرجل الأسود محروم من التعليم في مدارس البيض... وهو محروم من تأدية العبادة في معابد البيض... بل هو ممنوع في بعض الولايات من السير في شوارع البيض؟؟ ومما روته الصحافة الغربية عن قصص التمييز العنصري مؤخراً القصة التالية: (لقد أفرج عن القس الزنجي الأميركي (وليمس كنج) من العاشرة صباح الأحد حتى التاسعة من صباح الاثنين، لحضور الصلاة العامة. ثم أعيد بعدها إلى السجن ليقتضي مدة العقوبة المحكوم بها، لأنه أكل في مطاعم البيض؟؟).

وفي اتحاد جنوب أفريقيا أجرت (بريطانيا) استفتاء مزيفاً لتقرير بقاء الاتحاد عضواً في الكونولث البريطاني أو إعلان الجمهورية فيه. وقد أعطي هذا الحق لجميع الأوروبيين المقيمين في الاتحاد وعددهم مليون ونصف مليون شخص... بينما حُرّم منه سكان البلاد الوطنيون الأصليون وعددهم تسعة ملايين ونصف مليون نسمة؟

كذب الغربيين في دعوى الحرية والسلام

وأجدني في غنى عن تقديم شواهد على فشل الغرب وكذبه في دعوى السلام والحرية... فالعالم العربي والإسلامي عانى وما يزال يعاني الكثير من ويلات الاستعمار وخداعه ووحشيته....

وها هي أميركا ترتكب باسم الحرية والسلام في فيتنام وغيرها أبشع المجازر... لتقدم بين يدي العالم من جديد دليل إفلاسها الإنساني والأخلاقي والعقائدي... كذلك القول فيما قامت به بريطانيا من تقتيل وتدمير في جنوب الجزيرة العربية باسم الحرية والسلام...

ويعلق الأستاذ (جودا) على ذلك في كتابه (سخافات المدنية الحديثة)، فيقول: (انظر إلى الطيارة التي تحلق في السماء... يخيل إليك أن صانعيها في علمهم ولباقتهم فوق البشر... ولكن انظر إلى المقاصد السيئة التي استخدمت لها الطيارة وغيرها من المخترعات... إنما هي قذف القنابل، وتمزيق جثث الإنسان، وخنق الأحياء بالغازات السامة، وإحراق الأجساد... وهذا من مقاصد الحمقى أو مقاصد الشياطين...).

الإسلام ضرورة...

إذا كانت هذه هي أبسط مظاهر الفشل التي تواجهها الاتجاهات الفكرية والمعسكرات السياسية في العالم أجمع...

وذا كان المنهج الإسلامي . التجربة الوحدة . في حياة الإنسانية التي برهنت عن اصالتها وعمقها... والتي حققت النجاح، وبلغت الكمال... فقد بات على الأمة أن تلتمس بوعث نهضتها وعوامل قدرتها وطريق وحدتها وحريتها تحت راية الإسلام المجيدة وفي ظل قيادته الكريمة الرشيدة...

الحركة الإسلامية

بين الأمم وس واليوم

أجدني في غير حاجة إلى كبير جهد للتأكيد على أن مبادئ الإسلام وأهدافه الكبرى أضخم من أن يضطلع بحملها والعمل لها أفراد متفرقون لا يلتقون على وحدة في التصور ووحدة في الفهم ووحدة في التخطيط...

فالإسلام دعوة . هدم وبناء . هدم الجاهلية بكل صورها وأشكالها... سواء كانت جاهلية أفكار، أم جاهلية أخلاق، أم جاهلية نظم وتشريع... ومن ثم بناء المجتمع على (قواعد الإسلام) في شكله ومحتواه... في مظهره وجوهره... في نظام حكمه... وأسلوب عيشه... في تطلعه (العقدي) للكون والإنسان والحياة... وفي تقويمه (الفطري) للأشياء كل الأشياء....

والإسلام متفرد بخصائصه فريد في مواصفاته...

فهو دعوة استعلاء واعتزام يرفض (المساومة) ولا يقبل بالترقيع وأنصاف الحلول... وهو دعوة حق لا يستستغ الوصول إليه بغيره... فهو يرفض (الميكافلية)⁽¹⁾ أساساً... إن نظرة الإسلام تفرض قيام البناء كل البناء من أصغر لبناته إلى أضخم أعمدته وأساساته وفق هندسة الإسلام وأصوله وخصائصه... وهذا يتطلب من (التكاليف) ما يعجز عنه الأفراد، ولا يقوى على النهوض به . مع الجهد الشاق . إلا تنظيم حركي تتوافر لديه الكفايات الفكرية والفنية والمادية، ويتوفر في اتباعه الوعي والجرأة والإخلاص.

حاجة التشريع إلى دولة

والإسلام في محتواه (القانوني) ومضمونه (التشريعي) لا يمكن أن يتخطى النطاق النظري إلى الواقع العملي دون أن تكون له (دولة) تحتكم إليه وتصدر عنه في كافة شؤونها...

¹ - نسبة إلى ميكافلي صاحب كتاب الأمير، الذي فصل فيه بين السياسة والأخلاق وسوغ فيه مبادئ الحكم المنافية للأداب الإنسانية، ومن أقطعها مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).

وغياب الوجود (الحكومي) للإسلام يؤكد . كذلك . ضرورة قيام تنظيم حركي يكون من مبررات وجوده (تحضير) كافة المستلزمات والمقومات التي يتطلبها قيام الحكم الإسلامي.

ولقد نسب غياب الوجود (الحكومي) للإسلام فترة من الزمن في نشوء كثير من الشبهات ما كانت لتنشأ لو كان له دولة تحمله وتحميه... تنافع عنه خصومه، وتجسد مبادئه... وتكون صور حية لقيمة ومثله... ومن هنا تبرز ضرورة أخرى من ضرورات قيام التنظيم الحركي بالتمهيد الكافي لاستئناف الحياة الإسلامية..

بين العمل الفردي والعمل الحركي

ثم إن المراقب لما يجري في نطاق العمل الإسلامي يلاحظ أن مآل الجهود الفردية الغير مرتبطة بتنظيم حركي . كالتي يبذلها الوعاظ والمرشدون والخطباء والموجهون . مآلها إلى الضياع والهدر برغم كثرتها... ذلك أن التنظيم الحركي من شأنه أن يستوعب الطاقات الفردية ويوجهها ويختزن القوى المتفرقة وينميها لتصبح على الزمن تياراً قوياً هادراً له أثره ومفعوله في عملية (الهدم والبناء).

أما معاول الإصلاح الفردي فقد تتحطم إثر بعضها البعض لعجزها عن مواجهة تحديات العصر، وبذلك تضيع على الإسلام إمكانيات وجهوده كثيرة، كما تضيع الصيحات الخافطة في الوسط اللّجب دون أن يحس بها أحد، ويكون مثلها كصيحة في واد ونفخة في رماد...

الهدم والبناء عملية شاقة

وهناك نقطة أخرى ينبغي إدراكها ولا يجوز إغفالها، وهي أن طريق العمل الإسلامي مفروشة بالمحن محفوفة بالأخطار... فالعاقبات التي تعترض الطريق أكثر من أن تُحصى... والقوى التي تتربص بالإسلام وأهله لا تُعد... والمشكلات التي خلفتها الحضارات والفلسفات المادية الغازية تتطلب أنجع الحول وأسرعها، وأضخم الامكانيات وأحسنها... زد على ذلك جهل المسلمين بهذا الدين وتحللهم من مبادئه وأخلاقه... مما يحتم قيام تنظيم حركي قوي يكون على قدر المسؤولية وفي مستواها...

نشأة الحركة الإسلامية الأولى

ولقد أدرك الرسول ﷺ من أول يوم أن تكاليف العمل الإسلامي ضخمة وشاقة... وأن عليه أن يُعد لحملها ما وسعه الإعداد...

وإن نظرة سريعة إلى النهج الذي اعتمده الرسول ﷺ في التحضير لبناء المجتمع الإسلامي وقيام الحكم الإسلامي تكفي للتأكد على أن أسلوب العمل الجماعي والتنظيم الحركي هو النهج الأسلم والأسلوب الأقوم...

كان الرسول ﷺ طيلة (الثلاثة عشر عاماً) التي قضاها في مكة عاكفاً على إعداد (الطليعة الأولى للحركة الإسلامية)... كان يُعدها لتكون على قدر العبء الذي ينتظرها...

فلنستعرض . بإيجاز . هذه الفترة الزمنية الهامة من حياة الدعوة ونواكب نشأة الحركة الإسلامية الأولى فيها...

قواعد التنظيم الحركي

١ - الوعي العقائدي:

كان محمد ﷺ شديد الحرص على أن يأتي التنظيم الحركي نتيجة الوعي الإسلامي وثمره من ثماره.. فلم تكن (العاطفة) قوة الدفع في كيان الدعوة، بل كانت العقيدة أساس البناء كله... كان الإيمان الواعي وقود النفوس ومحركها الأصيل في جهادها الشاق الطويل.

ولهذا لم يتخذ التنظيم الحركي في عهد النبوة شكلاً (حزبياً) الذي نراه في التنظيمات السياسية الحديثة... لم تكن الجماعة الإسلامية (قطيعاً) تسير وراء القيادة على غير هدى... وإنما كانت ملامح ذلك التنظيم تؤكد العمق العقائدي فيه...

لم تكن التبعية في (الحركة الإسلامية) لأشخاص... كما لم يكن الإقبال عليها والانتساب إليها يستهدف مصالح العاملين فيها... بل كانت التبعية للمبادئ، وكان طمع الأتباع في رضا الله عز وجل، قال شداد بن الهاد : (جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ، فأمن به واتبعه، فقال: أهاجر معك، فأوصى به بعض الصحابة... فلما كانت (غزوة خيبر) غنم رسول الله ﷺ شيئاً، فقسمه وقسم للأعرابي، فقال الأعرابي للرسول: ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أرميها هنا . وأشار إلى حلقة . بسهم فأموت فأدخل

الجنة، فقال الرسول ﷺ: (إن تصدق الله ليصدقنك الله)، ثم نهضوا إلى القتال، فأتى به وهو مقتول... فقال الرسول ﷺ: "أهو هو؟ فقالوا: "نعم، قال: "صدق الله فصدقه...".

هذا الوعي العقائدي هو الذي حفظ كيان الحركة الإسلامية من الانضراط بعد موت الرسول ﷺ، ولقد تجسد في أجلى صورة وأوقع بيان حين وقف أبو بكر الصديق يعلن على الملأ (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، ثم يقرأ على الناس قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

لقد تجلى الوعي العقائدي في حياة المسلمين الخاصة والعامة... كان البصر الثاقب... والعقل الراجع... والبصيرة النافذة... بل كان الضياء والنور وصوت الضمير في كيان الفرد والجماعة.

٢ - التفاعل الحركي:

ولم يكن هدف الرسول ﷺ من تعمق الوعي العقائدي في كيان الجماعة إنشاء (مدرسة نظرية)، وإنما كانت الغاية الأساسية تحقيق التفاعل بين الفكرة والحركة.. فالإسلام يريد لمبادئه أن يكون لها الدور القيادي في حياة الناس... فالإسلام ليس دين رهبانية ينعزل بأصحابه في الصوامع، بل هو دين حركة وتفاعل وجهاد... وأتباعه ينبغي أن يكونوا رهباناً في الليل فرساناً في النهار...

ولهذا كانت المحنة في حياة الحركة الإسلامية متوناً يصهر المعادن وينفي الخبث: ﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (الرعد: ١٧).

فالذين آمنوا حق الإيمان، وتفاعلوا مع الإسلام حق التفاعل أولئك مصابيح الهدى تنجلي عندهم كل فتنة عمياء... ولقد شهد التاريخ الإسلامي في عصوره المختلفة نماذج رائعة من رجال ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظَرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب ٢٣).

على هذه الأسس نشأت الحركة الإسلامية الأولى... مؤمنة بدعوتها... متفاعلة مع المبادئ التي تحملها... مدركة أخطار الطريق التي تسلكها... مستعدة للبدل والعطاء برضى وسخاء...

ولما تمض فترة من الزمن حتى كان للحركة الإسلامية دولة تحكم بما أنزل الله... ونمت هذه الدولة مع الزمن واتسعت مع الأيام حتى غدت ملء عين العالم وسمعه وبصره..

المنجزات التي حققتها الحركة الإسلامية في صدر الإسلام

لقد قدمت الحركة الإسلامية للبشرية في صدر الإسلام خدمات تعادل في حساب الزمن عشرات القرون... وحققت من المنجزات والمعجزات ما استطاعت أن تغير به وجه التاريخ. من هذه المنجزات:

١ - أنها حررت النفس البشرية من عبودية غير الله... فقضت بذلك على الوثنية والإلحاد والشرك واستأصلت شأفتها من أرض العرب...

٢ - أسست أول وحدة (عقيدية وسياسية) في حياة العرب... فقضت بذلك على النزعات القبلية والثغرات الإقليمية والمذهبية والعنصرية..

٣ - أنشأت أول حكومة (شورية) استمدت تشريعها من القرآن والسنة، فقضت بذلك على حاكمية البشر للبشر، وأعلنت أن الحاكمية لله...

٤ - حررت أطراف الجزيرة وبلاد الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا من براثن الاستعمار الروماني والفارسي ومن انحرافات الصليبية والمجوسية... فهدمت السدود وفتحت الحدود وحققت الأمن والسلام وأصبح الراكب يسير في الأرض لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه..

٥ - قدمت للإنسانية تراثاً ضخماً من العلم والحضارة لا تزال تعيش آثاره حتى اليوم.. كما ملأت أسفار التاريخ بالعظماء من علماء وأدباء وشعراء وحكماء ومجاهدين وشهداء...

وإذا كانت الأيام دولاً يداولها الله بين الناس بما كسبت أيدي الناس ولحكمه يراها هو ولا يراها سواه... فإن ذلك النور والخير الذي ملأ الدنيا أخذ بالأفول والانكماش ولم

تزل قوة المسلمين تضعف يوماً بعد يوم إلى أن مزق التتار حكومة (خوارزم شاه) في القرن السابع، وسقطت بغداد عاصمة الدولة الإسلامية الأخيرة..

وهكذا فقد العالم الإسلامي مكانته القيادية وأصبح عالمة على الشرق والغرب يستجدي منهما أفكاره ومبادئه ونظمه... وغرق المسلمون في التقليد وانساقوا في تيار الحضارة الغربية لا يلوون على شيء...

ولكن على الرغم من هذا الانحدار الذي آل عليه العالم الإسلامي فقد بقي (الإسلام) محتفظاً بفعالياته وخصائصه... وبقيت أصوات من الحق تتردد قوة وضعيفة على مر العصور والدهور لتؤكد سنة الله في كونه وإعجازه في دينه: " لا تزال من أمتي طائفة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله...".

طلّاع الحركة الإسلامية في العصر الحديث

في نهاية القرن التاسع عشر بدت طلّاع الزحف الإسلامي من جديد... وارتفع الصوت الأول لحركة الإسلامية الحديثة.. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر دينها)) وقد اتفق علماء التاريخ على أن مجدد المائة الأولى (عمر بن عبد العزيز) والثانية (الإمام الشافعي) والثالثة (الأشعري) والرابعة (الباقلاني) والخامسة (حجة الإسلام الغزالي)... وهكذا صدق الله وعده وقبض لهذه الأمة في القرن الرابع عشر الهجري رجالاً جددوا هذا الدين وبعثوا تراثه وجمعوا القلوب حوله وجاهدوا فيه حق الجهاد..

الوهابية والسنوسية:

في القرن الثاني عشر الميلادي ظهرت الحركة الوهابية بقيادة (محمد بن عبد الوهاب)^(١) تحارب البدع والخرافات وتدعو إلى جوهر الدين... إلا أن تطرفاً شديداً ومغالة جافة شوهاء تسربت إلى هذه الدعوة وحالت دون امتدادها وانتشارها... ولقد قاومها الطغاة مقاومة شديدة حتى إن والي مصر آنذاك (محمد علي باشا) عبأ لحربها الجيوش، وملاً أرض الحجاز بدماء المسلمين. عام ١١٠٩

^١ - ولد محمد بن عبد الوهاب في (العبيدة) من نجد عام ١٠١٦هـ. الموافق ١٧٠٤م، ويقال: إن جده سليمان رأى في المنام ناراً خرجت من سرتة فأضاءت البوادي كلهان فعبّر بعضهم هذا الرؤيا بأنه يخرج من صلبه رجل يهدي الناس ملكاً كبيراً، فكان ذلك الرجل هو حفيده محمد بن عبد الوهاب.

وتقارب الوهابية في عصرها حركة أخرى ظهرت في ليبيا، هي (الحركة السنوسية) التي تنتسب إلى السيد محمد بن علي السنوسي^(١).... وقد بذل السنوسي جهوداً جبارة في الدعوة إلى الإسلام... وكان لحركته آثار حسنة في الساحل الشمالي من أفريقيا وخاصة في المغرب والسودان والصحراء الكبرى...

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي بذر جمال الدين الأفغاني^(٢) البذرة الثانية في كيان الحركة الإسلامية الحديثة... وتتلخص دعوة الأفغاني آنذاك في نقاط ثلاث:

١ - إصلاح عام شامل للحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعودة إلى الإسلام في صدره الأول.

٢ - إصلاح سياسي يقوم على الشورى الإسلامية ممثلة في الحكم النيابي.

٣ - الدعوة إلى انضمام الدول الإسلامية في جامعة إسلامية واحدة....

ولم تسلم حركة الأفغاني من المقاومة، فقد حاربها (الخدويوي توفيق) حرباً شعواء انتهت بنفي الأفغاني من مصر عام ١٨٧١ بعد أن خلق فيها رأياً عاماً ثائراً ومدرسة تؤمن بالحق وتنشده. وكان من تلاميذه هذه المدرسة الإمام (محمد عبده)^(٣) الذي ألقى القبض عليه بعدئذ بتهمة قلب نظام الحكم، ثم نفي من البلاد ولحق بأستاذة الأفغاني في باريس...

وكان من هذه المدرسة الإمام السيد رشيد رضا^(٤) الذي حمل لواء الجهاد في سبيل الإسلام أربعين عاماً متصلة الحلقات مما حدا بشكيب أرسلان أن يقول فيه: (أنه منذ أوحى إلى محمد ﷺ إقرأ باسم ربك الذي خلق إلى ساعتنا هذه، ومنذ نشأة الأمة المحمدية، وقد نبغ فيها من الأمراء والعلماء والقواد والحكماء ورجال السيف والقلم وعدد كبير من العبقريين والمشاهير والأقطاب. فسواء قلّ هذا العدد أو كثر، فإن السيد

^١ - ولد محمد بن علي السنوسي عام ١٧٨٧ في بلدة (مستغانم) من بلاد الجزائر، وتوفي عام ١٨٥٩.

^٢ - ولد جمال الدين الأفغاني في (أسد آباد) من بلاد فارس هام ١٨٣٩، ثم انتقل إلى الأفغان، وفيها تعلم الفقه على مذهب أبي حنيفة، ثم سافر إلى مصر ومنها إلى منفاه... وفي أوروبا أصدر صحيفة (العروة الوثقى) وصحيفة (ضياء الخافقين) وتوفي عام ١٨٩٧. وفي حياة الأفغاني علامة تعجب كبرى- أرى من الحق ذكرها وهي انتمائه للحركة الماسونية وانشاؤه محفلاً ماسونياً في مصر، وإن كان من المحفل كما قيل بعيداً عن سيطرة المحافل الغربية؟؟؟

^٣ - ولد الإمام محمد عبده عام ١٨٤٨ في قرية (شتراء) المصرية، وقد أثر الأفغاني فيه تأثيراً كبيراً ووجه حياته توجيهاً جديداً، فكان أن ساهم معه في دعوته، وكان رفيقه في منفاه، ومن أقواله فيه: (إن أبي وهبني حياة يشاركني فيها (علي ومحروس) وهما أخوان له كانا مزارعين، والسيد جمال الدين وهبني حياة أشارك فيها (محمد وإبراهيم وموسى وعيسى والأولياء والقديسين)، وكانت وفاته بالاسكندرية عام ١٩٠٥.

^٤ - ولد السيد رشيد رضا في قرية (القلمون) ٩ من لبنان عام ١٨٦٥، وتلقى علومه في مدينة طرابلس على يد الشيخ حسين الجسر، وقد أفاد من دعوة الأفغاني وتأثر بهان ثم هاجر إلى الشام ومنها إلى مصر حيث تابع فيها خطواته الجبارة في ميدان الإصلاح، فأصدر مجلة (المنار) وعدداً من المؤلفات منها: الوحي المحمدي- السنة والشريعة- حقيقة الربا- المقصورة الرشيدية- مناسك الحج- الخلافة والإمامة العظمى- يسر الإسلام وأصول التشريع العام- الوحدة الإسلامية- المنار والأزهر- نداء للجنس اللطيف- تاريخ الإمام عبده.

رشيد رضا من صيانه المعدودين في هؤلاء. ولا يمكن أن يكتب تاريخ الإسلام على الوجه الصحيح، ويوفر فيه لكل علم من أعلامه الحق الذي يستحقه، بدون أن يكون لصحاب (المنار) فيه مقام كريم وبرهان ساطع، وليس التأخر في الزمان الذي يدعو إلى التأخر في (الرتبة...).

الحركة الإسلامية في الهند:

وفي الهند قام الشيخ ابن عبد الرحيم الدهلوي (م ١١٧٦هـ) المشهور بالشيخ ولي الله، وهو أحد حكماء الإسلام ونوابغه وكبار المفكرين الإسلاميين من طراز الإمام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية. قام بمهمة التجديد الإسلامي. وبعده قام نجله الأكبر سراج الهند الشيخ عبد العزيز الدهلوي (١٢٧٩هـ) وكان له أثره الكبير في الدعوة إلى الإسلام.

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري قام السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهير بمهام الدعوة إلى الإيمان والتقوى والجهاد في سبيل الله، فاستجاب له عدد كبير من الناس واستطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية في مدينة (بشاور)، وطبقوا فيها أحكام الإسلام، ولكن القبائل الأفغانية وجماعة (السك) تألبت عليهم وثاروا ضدهم مما أدى إلى قيام معركة عنيفة بين الطرفين قتل فيها الإمام وكبار أصحابه، وذلك ١٢٤٦هـ.

وفي سنة ١٨٥٧م ثار المسلمون ثورتهم المشهورة للتخلص من الإنجليز، ولكن الثورة أخفقت، ودخلت الهند في حكم بريطانيا المباشرة، وطبقت الحكومة نظام التعليم المدني لتقطع الصلة بين الناشئة والإسلام، فلم ير العلماء بدأ من فتح المدارس العربية والمعاهد الدينية لمكافحة تيار الحضارة الغربية الغازية، وبذلك تأسست (مدرسة ديوبند) سنة ١٢٨٣هـ (ومدرسة مظاهر العلوم) وفي عام (١٣١٦هـ) أنشأ القائمون على ندوة العلماء مدرسة (دار العلوم) التي أصبحت بعدئذ صرحاً من صروح الإسلام في الهند، وقد خرجت علماء ومؤلفين أفاضاً نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ شبلي النعماني، والشيخ سلمان الندوي، والسيد أبو الحسن الندوي وغيرهم...

الجماعة الإسلامية في الهند:

وفي سنة ١٩٤٧ قامت (الجبهة الإسلامية) تدعو إلى الإسلام ونشر تعاليمه الحقّة بين المسلمين وغيرهم من سكان البلاد على اختلاف مذاهبهم وألوانهم، وكان أميرها الأسبق والأول فضيلة الشيخ أبو الليث الإصلاحي وواجهت الجماعة أثناء هذه الفترة إلى الآن ما واجهت من المحن والمتاعب ومن طرد أعضائها من المناصب والوظائف الحكومية ومن

سجن أفرادها مراراً، حتى أن الجماعة ألغيت سنة ١٩٧٥م، وحظرت نشاطاتها ولكن الجماعة . كجماعة إسلامية . رغم ما لاقت من المحن في سبيل الإسلام لم تتوقف عن أداء واجباتها وإبلاغ رسالة الإسلام إلى جميع سكان البلاد، وهي اليوم تؤدي أمانة الدعوة إلى الإسلام وتعمل لأجل رفع راية الإسلام بكل جد ونشاط، وهي أكبر جماعة إسلامية من حيث نشاطاتها الإسلامية، ولا شك أنها هي الجماعة الوحيدة التي تسعى في مختلف المجالات لنشر الدعوة باتخاذ وسائل متنوعة يمكن حصرها على سبيل الإجمال في نقاط تالية:

١ -نشر تعاليم الإسلام بعقد إجتماعات وحفلات علمية يشترك فيها المسلمون والهنالك على السواء.

٢ -إقامة الندوات والمحاضرات على مواضيع متنوعة تتلق بحل مشكلات العصر الحديث في ضوء الإسلام ويجتمع فيها الباحثون ويلقون آراءهم ويناقشون حول الموضوع.

٣ -إنشاء المدارس والمعاهد التعليمية والكليات للطلاب وللطالبات ودور الكتب للمطالعة في مختلف أنحاء البلاد.

٤ -إنشاء المستشفيات والبنوك الغير الربوية.

٥ -نشر الكتب الإسلامية في اللغات الهندية المختلفة والقيام بترجمة الكتب الإسلامية إلى لغات محلية هندية (حوالي ١٤ لغة هندية).

٦ -إصدار المجلات والجرائد اليومية والأسبوعية والشهرية في مختلف اللغات (الأردية، الهندية، الإنكليزية، البنغالية، المرأتهية والأسامية وفي لغة تلغو وغيرها من اللغات).

الحركة الإسلامية في باكستان:

وفي باكستان أصبح للحركة الإسلامية وزنها الاجتماعي والسياسي... ففي عام ١٩٣٦ هجرية شمر الأستاذ أبو الأعلى المودودي عن ساعده للدفاع عن الدين وإحياء أثره في النفوس... فأنشأ مجلة (ترجمان القرآن الشهرية: تمهيداً لسبيل الدعوة وتوظئة لواجب العمل الإسلامي... وفي عام ١٩٣٧ أعلن حرباً شعواء على (المؤتمر الوطني) الهندي والقومية الهندية... واستمر المودودي في جهاده الشاق الطويل يدعو إلى الإسلام ويؤلف القلوب عليه، ويتعهد الشباب بالتربية والتعليم، حتى إذا كان عام ١٩٤٠ اجتمع نفر

ممن سبقوا إلى إجابة الدعوة في (لاهور) واتفقت كلمتهم على تأسيس (الجماعة الإسلامية) وانتخبوا أبا الأعلى المودودي أميراً لها. وجعلوا غايتها إقامة نظام الإسلام الكامل على وجه الأرض وابتغاء وجه الله في الدار الآخرة.

وقد لاقت الجماعة الإسلامية في سبيل هذه الدعوة ما لاقت من المحن والمتاعب... واصطدمت اصطدمات عنيفة بالفئات والاتجاهات التي أوجدها الاستعمار كالقاديانيين، ومنكري السنة النبوية، والمتفرنجين والمخدوعين بالحضارة الغربية...

وفي عام ١٩٦٣ صادرت الحكومة مجلة (ترجمان القرآن) وألغت امتيازها بحجة أن المجلة حاولت إساءة العلاقة بين باكستان وإيران.

وفي عام ١٩٦٤ أصدرت الحكومة أوامرها بحل الجماعة وصادرت أموالها وأغلقت دورها ومراكزها. ثم ألقى القبض على أمير الجماعة وجميع أعضاء مجلس الشورى وهم ستون شخصاً... وُجِّحَ بهم في السجون والمعتقلات... وبعدها قدم المودودي للمحاكم وصدر الحكم عليه بالاعدام لقاء تأليفه رسالة (المسألة القاديانية) وقد صدر هذا الحكم فعلاً ثم خُفض إلى السجن المؤبد تحت ضغط العالم الإسلامي واستنكاره الشديد لموقف الحكومة من الجماعة الإسلامية.

ولقد أسهم المودودي إلى جانب قيامه بواجب الدعوة بإمداد المكتبة الإسلامية بإنتاجه وعبقريته، فوضع عدداً من الكتب والمؤلفات نذكر منها:

مبادئ الإسلام / المصطلحات الأربعة في القرآن / الدين القيم / البيانات / المسألة القاديانية / الحجاب / الربا / معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام / نحو الدستور / منهج الانقلاب الإسلامي / الإسلام والجاهلية / نظرية الإسلام الخلقية / الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية / واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم / نظام الحياة في الإسلام / الجهاد في سبيل الله / شهادة الحق / وغيرها.

الحركة الإسلامية في إيران:

في إيران قامت الحركة الإسلامية وسط الحركات العديدة التي كانت تتجاذب هذا البلد إلى اليمين وإلى اليسار... فكان عليها واجب الوقوف بإيران على الحياد وربطها بالعالم الإسلامي ومكافحة الاستعمار وعملائه... وقد قيض الله للحركة حينئذ شاباً متوقداً بالإيمان والحماس يبلغ من العمر تسعة وعشرين عاماً، درس في مدينة (النجف) العراق، ثم عاد إلى إيران ليقود حركة الجهاد ضد الخونة والمستعمرين...

أسس (نواب صفوي) حركة (فدائيان إسلام) التي تؤمن بأن القوة والإعداد هي السبيل الوحيد لتطهير أرض الإسلام من الصهيونية والمستعمرين...
ولنعد بالذاكرة إلى عام ١٩٤٨ إبان الحرب الفلسطينية حين لبس رجال جماعة (فدائيان إسلام) الأكفان واستعدوا للزحف إلى فلسطين... لكن توقيع الهدنة أعادهم...
ولنعد كذلك إلى معارك التحرير من النفوذ البريطاني عند تأميم مصافي (عبادان)، فكان فدائيان إسلام هم الشعلة التي أنارت السبيل ومهدت الطريق بسيل من الدماء..

وأخيراً عندما نقضت اتفاقيات التأميم وانتكست الوثبة، كان لا بد لفدائيان إسلام من أن يعملوا... فقال زعيمهم (نواب) بصراحة (لا) بالرغم من أن الكتل الوطنية كلها أسكتت أو زُج بها في السجون... فكان أن شرفه الله بالشهادة مع نفر من إخوانه... وسقط نواب صفوي برصاص الخونة والعملاء صباح يوم الأربعاء الواقع في الخامس من جمادى الثانية ١٣٧٥ الموافق ١٨ من كانون الثاني ١٩٥٦.

واليوم وبعد أن اعترفت إيران بإسرائيل عدوة الإسلام والمسلمين... لا بد للعرب أن يتلمسوا في إيران نواب وإخوان نواب... لكن الدول العربية لم تدرك هذا حتى الآن.. ولم تعمل بأن الحركة الإسلامية هي وحدها التي تدعم قضاياها خارج العالم العربي...

فهل لإيران اليوم من (نواب)... بل هل لزعماء العرب وقادتهم أن يتعضوا فيحفظوا لأمثال نواب وإخوانه جهادهم ومواقفهم؟؟؟

الحركة الإسلامية في اندونيسيا:

وفي اندونيسيا قام حزب(ماشومي) أي (مجلس الشورى الإسلامي) الذي يرأسه محمد ناصر بدعوة اندونيسيا إلى الحكم الإسلامي والتباعد بها عن سياسة الأحلاف والارتباطات الأجنبية... ولقد قاومت الحركة الإسلامية السياسة الرامية إلى إخضاع اندونيسيا للنفوذ الشيوعي، وتمكين الفكر الماركسي من السيطرة والانتشار... وإلى اليوم لا يزال حزب ماشومي حارساً لثغور الإسلام ومبادئه في أندونيسيا مرابطاً في خط النار الأول... وقدر عدد المنتسبين إلى الحركة الإسلامية في اندونيسيا بأكثر من عشر ملايين عضو..

الحركة الإسلامية في تركيا:

وفي تركيا كانت الحركة الإسلامية على موعد مع المد الإسلامي الزاحف في كل مكان.. ولقد أوقد المجاهد الشهيد (سعيد النورسي) أول شعلة للكفاح الإسلامي في تركيا في أوائل القرن العشرين... فألقى بنفسه إلى معترك السياسة صغيراً حيث قيّدت يداه وهو لا يزال في الثامنة عشر ونُفي إلى (تلبيس)... وبعد عودته من منفاه بدأ بتكوين أول لبنة للحركة الإسلامية في تركيا..

وفي عام ١٩٣٥ اتهم بإنشاء جمعية سرية وقدم للمحاكمة... ومنذ ذلك الحين والحركة الإسلامية التي أسسها النورسي في نمو وانتشار حتى بلغ عدد المنتسبين إليها كما وصفته الصحف المعارضة لها ٦٠٠,٠٠٠ عضو، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي تتعرض لها الحركة في تركيا، فقد أصبحت لها دعائم قوية راسخة في المجتمع التركي وينطق بلسانها عدد من الصحف والمجلات...

الحركة الإسلامية في مصر:

وفي مطلع القرن العشرين كانت مصر، بل العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه مع مجدد جيل من مجددي الدعوة الإسلامية وباعثي حركتها، ذلك هو الإمام الشهيد حسن البنا^(١) نضر الله وجهه.

ولقد تميزت حركته بوضوح (الغاية) وشمول (الفكرة) كما تميزت بالواقعية والتخطيط.. لقد جمعت بين العمق الفكري والتكوين الخُلقي والعلم السياسي.. ولم يكن انطلاقها عفويًا عاطفيًا، وإنما كان انطلاقاً مدروساً يبدأ بالتحليل والتشخيص وينتهي بالعمل والتنفيذ..

والحركة . كل حركة . حتى تكون ذات فاعلية واقعية في حياة الناس وواقعهم ينبغي أن تحدد منهاج عملها وترسم خط سيرها على ضوء تصورين أساسيين:

تصور شامل للواقع المراد تغييره، بكل ما فيه من مشكلات وتيارات وقوى واتجاهات. تصور يكفي لتحديد العوامل التي تسببت في تحلله وتداعيه... أي تكفي لتشخيص أمراضه وعلله..

^١ - ولد حسن البنا في (المحمودية) من الريف المصري عام ١٩٠٦، وفي عام ١٩٢٧ تخرج من دار العلوم القاهرة، وفي عام ١٩٢٨ ولدت جماعة الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية، وفي عام ١٩٣٣ تأسس أول فرع للحركة في القاهرة، وفي عام ١٩٤٩ اغتيل الشهيد حسن البنا على يد (القصر والانجليز).

وتصور واع للنهج والأسلوب اللذين سيعتمدان في عملية التغيير تحددها فلسفتها العقائدية ومبادئها الإصلاحية..

فأما عن الأول... فقد خرجت الحركة الإسلامية من دراستها لواقع ومشكلاته بتصوير عميق حدّدت على ضوئه العامل الأساسي في إشقائه وإفساده... ذلكم هو الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الأولوية وهي (الحاكمية)... فالواقع الإنساني أسند الحاكمية إلى البشر. وجعل بعضهم أرباب بعض، لا في الصورة البدائية الساذجة التي عرفت الجاهلية الأولى... ولكن في صورة ادعاء حق وضع التصورات والشرائع والقوانين والأنظمة، بمعزل عن منهج الله للحياة وفيما لم يأذن به الله⁽¹⁾.

وأما عن الثاني.. فقد بينت الحركة الإسلامية أن مهمتها الأولى هي تغيير هذا الواقع من أساسه... وأكدت أنها لن تصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلي أو تدين له بالولاء... وأن وظيفتها الأولى هي إحلال التصورات الإسلامية والتقاليد الإسلامية مكان هذه الجاهلية. وأن هذا لن يتحقق بمجالاة الجاهلية والسير معها خطوات في الطريق، وإنما بالتمايز عنها والانقلاب عليها.

وعلى ضوء هذا التصور المبدئي لطبيعة العمل الإسلامي ومتطلباته رسمت الحركة الإسلامية خط سيرها وقسمته إلى ثلاث مراحل:

١ -مرحلة التعريف والتوعية: بنشر الفكرة وجلاء حقيقتها وبيان أهدافها ودعوة الناس إليها.

٢ -مرحلة الإعداد والتكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل الأعباء، وتكوينها وإعدادها لتكون في مستوى المسؤوليات التي تنتظرها.

٣ -مرحلة التنفيذ: بتغيير الواقع القائم وتحقيق الواقع المنشود وفق خطة مرسومة...

دور الحركة الإسلامية الحديثة

لقد امتدت حركة الإخوان في كل مكان.. وأصبح لها في كل بلد دعوة ودعاة... ولعبت في التاريخ المعاصر أدواراً بالغة الأهمية في مختلف الميادين..

^١ - معالم في الطريق، للشهيد سيد قطب.

على الصعيد الفكري

فعلى الصعيد الفكري تولت الحركة الإسلامية إحياء التراث الإسلامي وعرض الإسلام بأسلوب العصر عرضاً علمياً رصيناً كشف عن ذخائر الفكر الإسلامي...

مفهوم الحركة للإسلام:

حرصت الحركة من أول يوم على أن تزيل عن الإسلام ركام البدع والخرافات، وتقدمه للناس بصورته الصافية المشرقة التي توافق طبيعته ومحتواه...

فهي تؤمن بأن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة... تنظم شؤون الدنيا والآخرة... فهي عقيدة وعبادة... وأخلاق وتشريع ووطن وجنسية... ودين ودولة... وروحانية وعمل... ومصحف وسيف...^(١).

وتعتبر الحركة الإسلامية أن القاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشري هي قاعدة (لا إله إلا الله) أي أفراد اله سبحانه في الألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية... أفرادها بها اعتقاداً في الضمير... وعبادة في الشعائر... وشريعة في واقع الحياة^(٢).

النفس الإنسانية مركز الثقل:

أما عن النفس الإنسانية، فقد اختصتها الحركة الإسلامية بكبير الأهمية، واعتبرتها مركز الثقل في الحياة البشرية، وأن بصلاحتها صلاح الحياة وبفسادها فساد المجتمع والناس...

فبينت موقف الإسلام منها وعنايته بها ومنهاج التربية التي أعدها الإسلام لها... أكدت الحركة أن طريقة الإسلام في التربية هي معالجة الكائن البشري كله، معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن شيء.. جسمه وعقله وروحه... حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه على الأرض...

وإن الإسلام حرص على هذا التوازن وجعله هدفاً أساسياً في مناجاه. وبذل فيه كل ما في الطاقة من جهد... بدأ فيه مع الطفل من مولده... وسار فيه مع الإنسان في جميع مراحل حياته ونموه... ولم يتركه لحظة دون معاونة أو توجيه^(٣).

^١ - رسالة المؤتمر الخامس، للشهيد حسن البنا.

^٢ - معالم في الطريق، للشهيد سيد قطب.

^٣ - منهج التربية الإسلامية، للأستاذ محمد قطب.

الحركة الإسلامية والحضارة الغربية:

وكان موقف الحركة الإسلامية من الحضارة الغربية موقفاً حاسماً من أول يوم.. كشفت عيوبها... وعددت مثالبها... وأماطت اللثام عن حقيقتها وجوهرها..

لقد بينت أن هذه الحضارة التي زهت بجمالها العلمي حيناً من الدهر، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم، تُفلس اليوم وتندحر، وتندك أصولها، وتنهدم نظمها وقواعدها...

فالدول التي تمارس تجارب تطبيق (النظريات الماركسية) مثقلة بالضوابط والأزمات في كل مجال، فمشكلات التأميم ومشكلات الغلاء ومشكلات حرب الطبقات وغيرها أصبحت عنواناً بارزاً على فشل التطبيق الاشتراكي...

كذلك الدول التي تمارس تطبيق (الأنظمة الاقتصادية الحرة) هي الأخرى غارقة في طوفان مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية كمشكلات الاحتكار والبطالة والربا والتسلط الفردي وغيرها.

وأن العالم أصبح بسبب هذه النظم والاتجاهات المادية المنحرفة كسفينة في وسط اليم حارريانها وهبت عليها العواصف من كل مكان. الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة قد اكتوت بنار المطامع والاستعمار، فهي في أشد الحاجة إلى عذب من سؤر الإسلام يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة...

الحركة الإسلامية والإبداع المادي:

وإذا كانت الحركة الإسلامية قد نددت بالحضارة الغربية، فإنها لم تتنكر للإبداع المادي، وإنما أنكرت أهليته لقيادة البشرية. وأكدت أن الإسلام لا يحتقر المادة، ولكنه فقد لا يعتبرها هي القيمة العليا التي تهدر في سبيلها خصائص الإنسان ومقوماته، وتهدر من أجلها حرية الفرد وكرامته، وتهدر فيها أخلاق المجتمع وحرماته...

وخلصت الحركة الإسلامية إلى القول بأنه لا بد من مؤهل آخر لقيادة البشرية.. مؤهل يسمح للبشرية أن تحتفظ بنتائج العبقريّة والمادية، ولكن تحت إشراف تصور آخر يلبي حاجة الفطرة⁽¹⁾..

¹ - معالم في الطريق، للشهيد سيد قطب

الحركة الإسلامية والشيوعية:

أما عن الشيوعية، فقد اعتبرتها الحركة الإسلامية من أخطر الاتجاهات التي تهدد عقيدة الأمة بالفناء والدمار.

فالشيوعية تنكر بصراحة عقيدة الألوهية والرسالات والعالم الآخر. وتقول (لا إله والحياة مادة).

والشيوعية تفسر التاريخ تفسيراً مادياً صرفاً يجعل الحياة على وجه الأرض معركة أمعاء وبطن، وتسقط من حسابها القيم والأخلاق والأفكار والمثل.

والشيوعية تحارب الفكرة البشرية بمحوها للملكية الفردية.

والشيوعية تثير الفتن والأحقاد، وتدكي روح الانتقام بين أرباب العمل والعمال، وتضرم في المجتمع حرب الطبقات.

الحركة الإسلامية والقومية:

واعتبرت الحركة الإسلامية (القومية) التي يُراد بها الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى، كما نادت بذلك (ألمانيا وإيطاليا) معنى ذمياً ليس من الإنسانية في شيء... وأكدت أن رسالة الإسلام فوق ما يسمى (بالفرعونية والعربية والسورية وغيرها) من الاتجاهات القومية... وأنها تؤمن بما قاله الرسول ﷺ: ((إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاضمها بالآباء. الناس لآدم وآدم من تراب. لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)).

والحركة الإسلامية لم تنكر مع هذا خواص الأمم والشعوب، فهي تؤمن بأن لكل شعب ميزاته وقسطه من الخلق والفضيلة. وأن العرب لهم من ذلك النصيب الأوفى. ولكنها تنكر اعتبار هذه المميزات القومية مصدراً عقيدياً ومؤهلاً فكرياً يصرف العرب ويُغنيهم عن رسالة الإسلام...

فالقومية في نظر الحركة الإسلامية كيان فارغ بحاجة إلى إملاء، وعاطفة جياشة بحاجة إلى دعائم فكرية وعقيدية... وأن منطق العصر يقضي بانفتاح الشعوب العربية على الشعوب الإسلامية التي تلتقي معها على وحدة في التصور ووحدة في الاعتقاد ووحدة في الآمال والألام، وأن رسالتها الإنسانية تفرض استعلاءها على الروابط الإقليمية والنزاعات الشعبوية...

الحركة الإسلامية والوحدة:

واعتبرت الحركة الإسلامية الوحدة مطلباً عزيزاً من مطالبها أو جزء لا يتجزأ من عقيدتها وهدفاً كبيراً من أهدافها... فالوحدة مبدأ من مبادئ الإسلام، وصفة أساسية من صفات الأمة الإسلامية: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

والحركة الإسلامية بهذا لا تعتبر الوحدة شعاراً يُطرح على مستوى حزبي محدود، وفي إطار سياسي مغلق، ليتجر بها حزب، أو تقات على حسابها فئة.. ولذلك فهي تدعو إلى معالجتها والعمل لها بروح رحبة مستمدة من جوهر الإسلام الذاتي سلوكاً أخلاقياً رباطاً عقيدياً يربط القلب بالقلب والفكر بالفكر والهدف بالهدف من غير مساومة ولا خداع.

وترى الحركة الإسلامية أن جميع المحاولات (الوحدوية) كانت تفتقر إلى تخطيط دقيق وعميق يجسدها حقيقة ملموسة وكياناً قائماً، وهذا ما جعل مفهومها سطحياً وعائماً... فتارة كانت ترمي إلى تعزيز (القوى العربية) كما لاح شبح الاستعمار والصهيونية... وطوراً كانت تهدف إلى تدعيم (الاقتصاد العربي) كلما أحدقت بالبلاد ضوائق معيشية ومالية... إلى غير ذلك من الاعتبارات والمصالح الزمنية الآنية..

والحركة الإسلامية لا تنكر أن الوحدة ضرورة (سياسية وعسكرية واقتصادية) ولكنها تعتبرها قبل كل هذا تجسيداً لمبادئ الأمة فضلاً عن مصالحها... ورمزاً لآصرة الدين لا لرابطة الطين... ومظهراً عقيدياً لا قويمياً ولا عنصرياً...

فالحركة الإسلامية لا تعترف بالحدود الجغرافية المصطنعة ولا بالفوارق الجنسية، وتعتبر المسلمين جميعاً (أمة واحدة) كما تعبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناعت دياره، وقد عبر عن هذا المعنى أحد شعرائها بقوله:

ولست أدري سوى الإسلام لي وطناً

الشام فيه ووادي النيل سيات

وحيثما ذكر اسم الله في بلد

عدت أرجاءه من لب أوطاني.

تراث الحركة الفكرية:

ومن قبيل الإنصاف القول بأن الحركة الإسلامية الحديثة ملأت (المكتبة الإسلامية) بشتى الموضوعات والمؤلفات والكتابات، وقدمت للبشرية تراثاً فكرياً فريداً..
وإن شئتم بياناً فهماكم طائفة من الكتب والمؤلفات التي حفل بها تراث الحركة الإسلامية الضخم.

في الدراسات الفكرية:

- الإنسان بين المادية والإسلام - للأستاذ محمد قطب.
- شبهات حول الإسلام - للأستاذ محمد قطب.
- هل نحن مسلمون - للأستاذ محمد قطب.
- التطور والثبات في حياة البشرية - للأستاذ محمد قطب.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام - للشهيد سيد قطب.
- السلام العالمي والإسلام - للشهيد سيد قطب.
- خصائص التصور في الإسلام - للشهيد سيد قطب.
- هذا الدين - للشهيد سيد قطب.
- المستقبل لهذا الدين - للشهيد سيد قطب.
- دراسات إسلامية - للشهيد سيد قطب.

في الدراسات الفقهية والتشريعية:

- التشريع الجنائي في الإسلام - للشهيد عبد القادر عودة.
- الحلال والحرام - للأستاذ يوسف القرضاوي.
- المرأة بين البيت والمجتمع - للأستاذ البهي الخولي.
- المال والحكم في الإسلام - للشهيد عبد القادر عودة.
- فقه السنة - للأستاذ سيد سابق.
- الإسلام وأوضاعنا القانونية - للشهيد عبد القادر عودة.
- الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية - للشهيد عبد القادر عودة..

في الدراسات النفسية التربوية:

- منهج التربية الإسلامية - للأستاذ محمد قطب.
- في النفس والمجتمع - للأستاذ محمد قطب
- منهج الفن الإسلامي - للأستاذ محمد قطب
- دراسات في النفس الإنساني - للأستاذ محمد قطب
- من مشاهد القيامة في القرآن - للأستاذ محمد قطب
- التصوير الفني في القرآن - للأستاذ محمد قطب
- معركة التقاليد - للأستاذ محمد قطب.

في الدراسات المقارنة والنقدية:

- معركة الإسلام والرأسمالية - للشهيد سيد قطب.
- الإسلام ومشكلات الحضارة - للشهيد سيد قطب.
- جاهلية القرن العشرين - للأستاذ محمد قطب.
- الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية - للأستاذ البهي الخولي.
- الشيوعية والإسلام - للأستاذ عمر الهندي.

في الدراسات الحركية:

- معالم في الطريق - للشهيد سيد قطب.
- تذكرة الدعوة - للأستاذ البهي الخولي.
- الهدم والبناء - للأستاذ عبد العزيز كامل.
- كيف ندعو الناس - للأستاذ عبد البديع صقر.
- مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا.
- مذكرات الدعوة والداعية - للشهيد حسن البنا.
- مذكرات الدعوة والداعية - للشهيد حسن البنا.
- الأخوان في حرب فلسطين - للأستاذ كامل الشريف.

- الإخوان والمجتمع المصري - للأستاذ محمد شوقي زكي.
- المقاومة السرية - للأستاذ كامل الشريف.
- الإخوان المسلمون في ميزان الحق - للأستاذ أنور الجندي.
- قائد الدعوة - للأستاذ أنور الجندي.
- الوفد والإخوان في الميزان - للأستاذ كامل الشافعي.
- الإمام جزء ١ - ٢ - للأستاذ أحمد أنس الحجاجي.
- صوت من الجنة - للأستاذ أحمد أنس الحجاجي.
- مع المرشد العام - للأستاذ لبيب البوهي.
- تاريخ الدعوة - للأستاذ أحمد عبد الجليل.
- تاريخ الأحزاب السياسية - للأستاذ أنور الجندي.
- حسن البنا كما عرفته - للأستاذ فتحي العسال.

على الصعيد السياسي

وعلى الصعيد السياسي كان للحركة الإسلامية دورها الطبيعي في مجاهدة الاستعمار وأعدائه ومقاومة الأحلاف الأجنبية وكل ما من شأنه إقحام العالم الإسلامي في مناطق نفوذ الاستعمار. وخاضت الحركة الإسلامية في سبيل ذلك اعنف المعارك وأضرها وقدمت في ساحات الجهاد زهرة شبابها وخيرة رجالها...

وإذا كانت الاتجاهات والزعامات الشعبية التي تدعي الثورة والتقدمية وتستقطب لنفسها أمجاد كل كفاح في التاريخ الحديث، فإن من حق الأمة على الحركة الإسلامية أن تطالبها بكشف صفحاتها وتسجيل تاريخها حفاظاً على الحقائق من سفه الحاقدين وصيانة للوقائع من عبث العابثين.

وإذا كان دور الحركة الإسلامية في مجاهدة الاستعمار وأتباعه والمنفذين لمخططاته والسائرين على دربه والمستوردين لمبادئه بالغ الأهمية قديماً وحديثاً، فلأن هؤلاء يرون في الحركة الإسلامية الخطر كل الخطر على مصالحهم وزعاماتهم وسياساتهم ومخططاتهم.. ويدركون تمام الإدراك مدى القوة الكامنة في عقيدة الإسلام ومدى أثرها ومفعولها إذا استيقظت في المسلمين.

إن الاستعمار والشيوعية والاتجاهات الشعبوية والحركات اليسارية تدرك هذا غاية الإدراك، وهي لذلك تعمل جاهدة للقضاء على كل تنظيم حركي للإسلام في العصر الحديث.

١ - حرب الدس على الفكرة الإسلامية:

ومن الوسائل التي اتبعتها خصوم الإسلام لحرب الإسلام ذلك الدسُّ الحاقد على الفكر الإسلامي وتشويه صفائه ونقاؤه.. ولقد جندوا لذلك أقلام الباطل في كل مكان للنيل من الإسلام والافتراء عليه من طريق الكتب والمؤلفات، ككتب المستشرقين وتلامذتهم أمثال جرجي زيدان وسلامة موسى، وخالد محمد خالد، والأستاذ الحداد، وفيليب حتي، وعلي عبد الرزاق، وعبد الرحمن بدوي، وميشيل عفلق، وساطع الحصري، وجورج حبش وغيرهم...

ولقد وقفت الحركة الإسلامية بالمرصاد لهؤلاء الدسّاسين.. فكشفت ضلالاتهم وانحرافاتهم... وفضحت نواياهم وغاياتهم... وحذرت الجماهير المسلمة من كتبهم ومؤلفاتهم وأفكارهم...

٢ - حربُ الشائعات على الحركة الإسلامية:

ولم يكتفِ الاستعمار وأتباعه وخصوم الإسلام وأعداؤه بالدس على الفكرة الإسلامية، بل تعدوه إلى الدسّ على الحركة الإسلامية... فأثاروا حولها الشائعات والأراجيف واختلقوا لها التهم والأكاذيب، ليقطعوا بذلك الطريق عليها ويزرعوا من حولها الشكوك، بل ولينتزعو ثقة الناس منها ويؤلبوهم عليها ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢).

ولكن تاريخ الحركة الإسلامية أنصع من أن تلوّثه دعايات المغرضين وشائعات الحاقدين.... إن تاريخ الحركة الإسلامية في كل مكان صفحة ناصعة من الوطنية والإخلاص والفداء...، وحتى نكون موضوعيين لا بد من وضع النقاط على الحروف واستعراض التاريخ السياسي للحركة الإسلامية الحديثة، ولو بإيجاز:

لمحات من تاريخ الحركة السياسي في مصر:

كان عام ١٩٣٩ بداية النشاط السياسي للحركة الإسلامية في مصر.. وقد اقتصر في ذلك الحين على القيام بواجب النصح للحكومات المصرية المتعاقبة. وفي عهد (علي ماهر) أعلنت الحركة الإسلامية تأييدها قرار تجنيد مصريلات الحرب...

وفي عام ١٩٤١ تعرضت الحركة الإسلامية للمحنة الأولى في عهد (حسين سري) بضغط من السفارة البريطانية في القاهرة وقيادة جنود الاحتلال في قاعدة القنال، فعطلت في هذه الفترة مجالات الحركة الثلاث (التعارف - والشعاع - والمنار) واعتقل عدد من قادتها وفي طليعتهم الشهيد حسن البنا المشرد العام.

وفي عام ١٩٤٤ تعرضت الحركة الإسلامية لمحنة جديدة في عهد حكومة (أحمد ماهر) وقد اشتركت السلطات المصرية في ذلك الحين مع الإنجليز في محاربة مرشحي الحركة الإسلامية في الانتخابات النيابية.

وفي عام ١٩٤٦ أعلنت الحركة الإسلامية الجهاد ضد جنود الاحتلال البريطاني، وخاض رجالها أعنف المعارك ضد العدو الغاصب. واستمرت المعارك الدامية بينها وبين البريطانيين حتى عام ١٩٤٨ حيث نشبت الحرب (الفلسطينية)، وأصبحت الحركة أمام خصمين: القوات الإنجليزية في الداخل والخطر الصهيوني في فلسطين، وصممت الحركة على خوض المعركة في فلسطين، وأقيمت معسكرات التدريب، وتدفق الشباب الجامعي على التطوع في كتائب الجهاد بحماس منقطع النظير...

وخاض المجاهدون المعركة ببسالة وإيمان شهد بهما القريب والبعيد مما استرعى إعجاب الضباط المصريين أنفسهم.. حتى أن أنور السادات يقول في كتابه (صفحات مجهولة في تاريخ الثورة المصرية) صفحة ٢٥٦: (وكانت أكثر الجماعات في ذلك الوقت حماساً للتطور والقتال هي (الحركة الإسلامية)... ولقد أبلى رجال الإسلام وشبابه في الجهاد البلاء الحسن... وسقط منهم عدد كبير من الشهداء نذكر منهم: الشهيد عبدالرحمن عبدالخالق، الشهيد الشيخ فرج إبراهيم، الشهيد محمد عبد الرؤوف، الشهيد عبد السميع قندلي، الشهيد عز العرب محمد سليمان، الشهيد مصطفى الشربيني، الشهيد محمد عبد الخالق يوسف، الشهيد عبد الرحمن عبد الحي، الشهيد محمود سلطان... الخ.

وفي عام ١٩٤٨ وبينما كان مجاهدو الحركة الإسلامية في أرض المعركة يذودون عن الوطن بالمهج والأرواح كانت الدوائر الاستعمارية تضع بالاشتراك مع القصر خطوط المؤامرة الخسيسة التي ذهب ضحيتها المرحوم الشهيد حسن البنا المرشد العام للحركة الإسلامية.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد... بل لقد تعداه إلى أبشع مؤامرة في التاريخ... فقد صدرت أوامر القصر باعتقال المجاهدين في الجبهة وزجهم في المعتقلات الحصاروية... وكانت مهزلة تدمي القلوب أن يُحمل المجاهدون من ميادين القتال إلى الزنازين والسجون... ولقد أشار إلى ذلك أنور السادات في نفس المصدر السابق صفحة ١٢، قال : (ورأى الشعب أبناءه الذين هبوا يذودون عن شرفه وحرية يعودون إلى المدينة مكبلين بالأغلال ليقتضوا أيامهم خلف أسوار المعتقل...).

جولة ثانية مع الإنجليز:

وفي عام ١٩٥١ خرج رجال الحركة الإسلامية من المعتقل، وبدأوا يُعدون لمعركة ثانية مع قوات الاحتلال البريطاني... واستأنفوا حرب العصابات بعمليات جريئة خاطفة. وغمرت البلاد موجة من الحماس وخصوصاً في أوساط الطلاب والجامعيين... وقد أنشئت معسكرات التدريب في الجامعات رغم المضايقات الحكومية الشديدة..

واستمرت العمليات العسكرية على طول قناة السويس والقاعدة البريطانية حتى استحالت القاعدة ساحة حرب تتلظى بالنار والدهان... وقد سجل مجاهدو الحركة الإسلامية في تلك الفترة أنصع صفحات البطولة حيث قابلوا بأسلحتهم الخفيفة مصفحات العدو ومدافعه... فأضافوا بذلك عدداً آخر من الشهداء إلى سجل الخالدين نذكر منهم:

الشهيد عمر شاهين، الشهيد عادل غانم، الشهيد نبيل منصور، الشهيد أحمد المنيسي، الشهيد عباس الأعسر...

ومما يدل على إيمان الحركة الإسلامية في مقاومة الإنكليز أن الإمام الشهيد حسن البنا وضع صيغة دعاء ليتلوه المسلمون في المساجد عقب الصلاة، هذا نصه: (اللهم رب العالمين... وأمان الخائفين، ومذل المتكبرين، وقاصم الجبارين، تقبل دعاءنا وأجب نداءنا.. وأنلنا حقنا، ورد علينا حريتنا واستقلالنا... اللهم إن هؤلاء الغاصبين من البريطانيين قد احتلوا أرضنا، وجحدوا حقنا، وطغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد...

اللهم فرد عنا كيدهم، وفل حدهم، ومزق جمعهم... وخذهم ومن ناصرهم أو أعانهم أو هادنهم أو وادهم أخذ عزيز مقتدر... اللهم واجعل الدائرة عليهم... وسق الوبال إليهم، وأذل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من المؤمنين...

ولا شك أن تلكم المضايقات التي تعرض لها المستعمرون البريطانيون أقنعتهم بأن قاعدة القتال لم تعد صالحة لبقائهم.. وقد ساعد ذلك على تحسين موقف المفاوض المصري. فيما بعد. وإجلاء القوات الأجنبية عن أرض الكنانة...

وفي عام ١٩٥٣ كانت الحركة الإسلامية الساعد الأيمن للثورة التي أطاحت بالملك فاروق، وهذا ما ذكره عبد الناصر في مذكراته التي كتبها له الأستاذ حلمي سلام في مجلة المصور تحت عنوان (حركة الجيش من المهد إلى اللحد)... وقد أشار إلى هذا كذلك أنور السادات في مواضع مختلفة من كتابه (أسرار الثورة المصرية) منها قوله: (وكنا نريد أن ن فكر في التنفيذ العملي، فكان لا بد لنا من أن نعاود الاتصال بالإخوان ليكونوا هم القوة الشعبية التي تشاركنا باسم الشعب تبعات العمل الكبير)^(١)، إلى أن يقول (لقد أصبح الملك ألعوبة في يد الإنجليز، ولم يعد في استطاعتنا أن نعول عليه في شيء من خططنا، بل لعل من الأسلم أن نعتبره من الأعداء... وهكذا ذهب مع الأعداء صفوف الوفد و صفوف السعديين ولم يبق في الميدان إلا قوة الإخوان)^(٢).

بعد حركة ٢٢ تموز قررت الحركة الإسلامية عدم الاشتراك في الحكم، وأثرت الوقوف منه موقف الناصح الأمين. ولقد عبر المرحوم الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام بقوله: (إننا نقف منهم موقف الناصح المتجرد نؤيدهم إذا أصابوا ونوجههم إذا أخطؤوا...).

ثم جاءت الاتفاقية الأخيرة مع الإنجليز الخاصة (بقناة السويس) ورأت الحركة الإسلامية فيها ربطاً لمصر بعجلة الغرب، واتجاهاً سياسياً خطيراً من شأنه أن يورط العالم العربي في آذاره، واتفاقاً ضمناً على الدفاع المشترك... فقدمت بذلك مذكرة رسمية إلى قيادة الثورة قياماً بواجب النصح، إلا أن هذا التصرف لم يرق لرجال الثورة واعتبروا هذه المبادرة تكريساً لوصاية الحركة الإسلامية عليهم..

وفي (١٣ كانون الثاني عام ١٩٥٤) أصدرت قيادة الثورة قراراً بحل الحركة الإسلامية على اعتبار أنها حزب سياسي يسري عليها ما يسري على سائر الأحزاب السياسية...

^١ - أسرار الثورة المصرية، بقلم أنور السادات، صفحة ٩٠.

^٢ - أسرار الثورة المصرية، صفحة ١٢١.

وفي أواخر عام ١٩٥٤ اتهمت الحركة بالقيام بمحاولة قلب نظام الحكم، وزج برجالها وقادتها في المعتقلات والسجون.. وحكم على ستة منهم بالإعدام..

وفي ١٣ ربيع الثاني ١٣٧٤ هـ. الموافق ٨ كانون الأول عام ١٩٥٤ نفذ حكم الإعدام، بالرغم من استنكار العالم الإسلامي الشعبي والرسمي لهذه الأحكام.

من هم شهداء عام ١٩٥٤:

والشهداء الستة هم:

١ - الشهيد عبد القادر عودة . القانوني الكبير، والعالم الفقيه، وصاحب كتاب (التشريع الجنائي في الإسلام) والذي كان مقرراً أن يظفر بجائزة فؤاد الأول للدراسات القانونية عام ١٩٥١، لولا عبارتان أصر المؤلف على ثباتهم في الكتاب... وهما تقريره أن الإسلام لا يعرف توارث الملك ولا يقر إلا الاختيار والبيعة. وتقريره أن الإسلام لا يعترف لحاكم بأنه فوق القانون.

٢ - الشهيد الشيخ محمد فرغلي . العالم المجاهد والقائد البطل الذي اقترن اسمه بما يشبه الأساطير عند الإنجليز. وكان اسمه يُسمع طوال الليل أيام الكفاح من محطة (فايد) للإذاعة البريطانية معلنة عن جائزة قدرها خمسة آلاف جنيه لمن يرشد إليه حياً أو ميتاً...

٣ - الشهيد يوسف طلعت . التي كانت تسميه القيادة البريطانية في القتال (بجزار الإنجليز)، وهو أحد أفضال الرجال الذين قادوا المجاهدين في قتال الإنجليز في مصر واليهود في فلسطين.

٤ - الشهيد المحامي ابراهيم الطيب.

٥ - الشهيد المحامي هندأوي دوير.

٦ - الشهيد محمود عبد اللطيف.

أسباب الخلاف:

قد لا تظهر لغير المطلعين على حقائق الأمور العوامل الرئيسية التي فجرت الخلاف بين الحركة الإسلامية ورجال الثورة... ومن الإنصاف القول بأن الحركة الإسلامية لم يتأت لها من الوسائل الإعلامية ما تدافع بها عن نفسها، أو تدفع بها ذلك السيل العرم من الشبهات والشائعات التي ألصقت بها..

والحقيقة أن الخلاف بين الحركة الإسلامية والثورة خلاف عقيدي مبدئي..

فالحركة الإسلامية تؤمن بالإسلام قوة أساسية لنهضة العرب والمسلمين... وتؤمن بضرورة تبني مبادئه وأحكامه في كل الخطوات الإصلاحية الاجتماعية الاقتصادية والسياسية.. والاعتماد على روحه الثائرة في وجه الاستعمار والصهيونية... وترى في تبني (المذاهب المادية) وتطبيق (الاشتراكية العلمية) سيراً على غير هدى، وتخبطاً بدون طائل، واستنزافاً للجهود وإضاعة للزمن، وطمساً لتراث الإسلام العظيم، وتنكراً لهذا الدين القيم، وإحلالاً لاستعمار مكان استعمار...

والحركة الإسلامية ترى أن معركة تحرير فلسطين هي المعركة الرئيسية التي يجب أن توجه إليها القوى وتحشد لها الجهود. وترى أن تأجيل المعركة، أو تحويلها منها إلى غيرها، أو مسخها لا يخدم. في الحقيقة. إلا إسرائيل ويعطيها فرصة التسلح والتمكن، وبالتالي يعمل مع الزمن على تعقيد القضية، وفرض على العرب الرضوخ لسياسة الأمر الواقع.

والحركة الإسلامية تؤمن بالحرية... الحرية الشعبية في كل مظهر من المظاهر، حيث يتسنى للشعب أن يعبر عن آرائه في شؤون بلاده بحرية واطمئنان. ومن ذلك حرية الصحافة والكتابة، وترى في اضطهاد حرية الرأي وحرمان الشعب من حقه المقدس وكتب الأنفاس ومصادرة الحريات من شر ما تصاب الأمم وتنكب به الشعوب... فهو تكريس للديكتاتورية والتسلط. وهذا ما تأباه طبيعة الإسلام، وما حذر منه عمر بن الخطاب خليفة رسول الله ﷺ بقوله: (لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها).

وظلت الحركة الإسلامية منذ عام ١٩٥٤ ثابتة على هذه المواقف أمينة على تلكم المبادئ برغم المحن الشديدة التي تعرضت لها، وبرغم التنكيل الذي وقع بأفرادها...

محنة عام ١٩٦٥

وفي مطلع عام ١٩٦٥ أتهمت الحركة الإسلامية مرة أخرى بالإعداد لقلب نظام الحكم، ومُلئت السجون والمعتقلات والوحدات بعشرات الآلاف من المواطنين.

ومن غرائب هذه الحملة اتهم الحركة الإسلامية بأنها تنوي نسف المنشآت والكباري ومحطات الإذاعة ومراكز توليد الكهرباء واغتيال المطربين والمطربات والراقصين والراقصات. كل ذلك من أجل استثارة الرأي العام ضد الحركة الإسلامية.. والربط

باستمرار بينها وبين الإرهاب والإجرام ولطبع هذه الصورة الكريهة المنفرة في أذهان الناس...

ومن غرائب هذه الحملة . كذلك . أن يُساق الأبرياء إلى الموت من غير أن يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم. ويمنع حتى الدفاع عنهم من محامين كثيرين كانوا قد تطوعوا للدفاع...

وفي ٢١ آب ١٩٦٦ صدر الحم بالإعداد على الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ سيد قطب^(١)، واثنين آخرين هما محمد يوسف هوش وعبد الفتاح اسماعيل. وفي صباح التاسع والعشرين من آب عام ١٩٦٦، كان صاحب (الظلال) في طريقه إلى منصة الإعدام فرحاً ببقاء ربه... وفي الكون الفسيح صدى قصيدته العصماء زغاريد بهجة وأغاني أعراس للشهيد الجديد...

أخي إن ذرفت علي الدموع	وبللت قبري بها في خشوع
فأوقد لهم من رفااتي الشموع	وسيروا بها نحو مجد تليد
أخي إن نمت نلق أحيابنا	فروضات ربي أعدت لنا
وأطيأرها رفرفت حولنا	فطوبى لنا في ديار الخلود
أخي ستبيد جيوش الظلام	ويشرق في الكون فجر جديد
فأطلق لروحك أشواقها	ترى الفجر يرمقنا من بعيد.

^١ - راند الفكر الإسلامي الحديث وهو كاتب وشاعر وأديب، وضع كتاب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) عام ١٩٥٠، وفي عام ١٩٥٣، مثل مصر في حلقات الدراسات الاجتماعية الذي عقد في دمشق. وفي عام ١٩٥٥ حكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة، وفي عام ١٩٦٥ أعيد إلى السجن وصدر عليه الحكم بالإعدام.

لمحات من تاريخ الحركة السياسية في العراق

أما دور الحركة الإسلامية في العراق فلم يكن أقل أهمية من دورها في سائر الأقطار...

ففي عام ١٩٤٧ قاد الأستاذ محمد محمود الصواف مؤسس الحركة الإسلامية في العراق الجماهير الشعبية في بغداد ضد معاهدة (بورتسموث) الإنكليزية العراقية حتى ألغيت وأسقطت.

وفي عام ١٩٤٨ نظمت الحركة الإسلامية المظاهرات وعبأت القوى الشعبية ضد قرارات التقسيم التي أقرتها هيئة الأمم المتحدة مما أدى إلى إسقاط حكومة صالح جبر...

وعندما نشبت معركة فلسطين كان الصواف على الخطوط الأمامية ينظم الجموع ويجند الجنود ويبث في النفوس روح الإقدام والتضحية... وقد أسندت إليه الهيئات الشعبية حينذاك أمانة سر جمعية إنقاذ فلسطين.

وفي عام ١٩٥٢ أصدرت الحركة الإسلامية مجلة (الأخوة الإسلامية) ونددت فيها بسياسة الحكومة الموالية للاستعمار البريطاني... فكان أن عطلها (نوري السعيد) كما عطل جماعة الأخوة الإسلامية وصادر ممتلكاتها واعتقل قادتها وجرّد بعضهم من وظائفهم..

وفي عام ١٩٥٨ عندما قامت ثورة ١٤ تموز كانت الحركة الإسلامية في طليعة الاتجاهات الشعبية التي دعمتها وأيدتها وساندتها... وعندما انحرفت الثورة عن طريقها السوي تصدّت الحركة الإسلامية لمكافحتها ومكافحة الاتجاه الشيوعي الذي يسندها... ولقد تعرضت الحركة الإسلامية - آنذاك - لحملة مسعورة من الفوضويين والشيوعيين والمنحرفين عقب ثورة الموصل.. فهوجمت المنازل... ونهبت المكتبات... وحطمت المطابع ودور النشر الإسلامية... بل لقد بلغ الأمر حد السحل في الشوارع لعدد من شباب الدعوة، كان منهم : الشهيد هاشم عبد السلام، الشهيد عبد الرزاق شندالة، الشهيد محمد البنا... وغيرهم.

لمحات من تاريخ الحركة الإسلامية السياسية في الأردن

وفي الأردن سجلت الحركة الإسلامية صفحات مشرقة في تاريخ العرب السياسي...
ففي عام ١٩٤٨ اشترك شبابها في حرب فلسطين على طول الحدود... ولا تزال الروابي
الأممية في القدس وصور باهر وجنين ونابلس والخليل تحتفظ بذكرات البطولة
لهؤلاء المجاهدين الأبرار..
وظلت الحركة الإسلامية في الأردن تواكب القضية الفلسطينية، وتفضح المؤامرات
المبينة لها بدون هوادة ولا لين.
وفي عام ١٩٥٥ عندما أثار (انتوني إيدن) رئيس مجلس الوزراء البريطاني موضوع
الأخذ بقرارات الأمم المتحدة التي تقضي بتقسيم فلسطين هب رجال الحركة يعلنون
النكير ويفضحون النوايا الاستعمارية الخبيثة..
وقد جاء في البيان الذي أذاعته الحركة الإسلامية في ذلك الحين ما يلي: (إن رأي
الحركة الإسلامية في قضية فلسطين واضح صريح لا يحتمل أدنى معنى من معاني
المواراة والمراوغة.. رأي الحركة التي حملت الأرواح على الأكف، وخاضت المعركة
مدفوعة بإيمان راسخ وعقيدة ثابتة... وما زلنا نرى أن قضية فلسطين لا يحلها (إيدن)
ولا يحلها (أيزنهاور) إنما يحلها (المسلمون) الذي يضحون بأعز ما يملكون في سبيل
الله....).

مقاومة كلوب والسياسة الإنجليزية:

أما على صعيد السياسة الداخلية، فإن مواقفهم الجريئة مع الاستعمار المتمثل
يومذاك بـ(كلوب وأعوانه) من البريطانيين كان له أكبر الأثر في إلهاب الجماهير، وفي
إلغاء المعاهدة البريطانية اللعينة..

وقد تعرضت الحركة الإسلامية من جراء ذلك لحملات متلاحقة... وفتحت
السجون والمعتقلات الصحراوية للمجاهدين الذين قالوا للطاغية (كلوب) وهو في أوج
سطوته (أنت سفاح إنجليزي مخادع لا بد أن يكون لك نهاية)...

ولم يكتف (كلوب) بمطاردة دعاة الإسلام واعتقالهم... بل وصل به الإجرام إلى
تعطيل جريدة (الكفاح الإسلامي) الناطقة بلسان الحركة الإسلامية في الأردن...

وطالب بوضع قانون يمنع المسلمين من التحدث والخطابة في المساجد إلا بترخيص رسمي من الحكومة...

مقاومة الأحلاف الأجنبية:

كان صوت الحركة الإسلامية في الأردن أول صوت ارتفع بالنكير على مقترحات (تمبلر) التي ترمي إلى إدخال الأردن في (حلف بغداد)... وقد قاومت الحركة الإسلامية هذه الفكرة مقاومة شديدة... وخرجت مظاهراتها في جميع أنحاء البلاد تطالب الحكومة بتنفيذ رغبات الشعب وتجنيب الأردن الأحلاف الأجنبية، مما حد برجال الجيش والبوليس إلى إطلاق النار على شرفة المركز العام للحركة الإسلامية في عمان، بينما كان قادة الحركة يخطبون في جموع المتظاهرين... ثم أعقب ذلك حملة عبدالرحمن خليفة وأودعتهم السجن... ثم عادت فأفرجت عنهم بعد أن جرف تيار الشعب حكومة (المجالي) وألقى بها خارج الحكم...

ويوم تعرض الأردن لضغط استعماري كي يقبل بمشروع (أيزنهاور) قاد زعماء الحركة المعركة من جديد... وقد جاء في بيان رسمي أذاعه عام ١٩٥٨:

(أيها الشعب الذي هزم (تمبلر) وحطم (حلف بغداد) وطرد الطاغية (كلوب) ببطولات خالدة... أنت مدعو اليوم لمقاومة مشروع (أيزنهاور)...)..

في وجه القوات البريطانية:

وفي عام ١٩٥٨ يوم نزلت قوات بريطانية في الأردن عقب ثورة ١٤ تموز العراقية وأثناء الثورة اللبنانية ووصل الأسطول السادس الأميركي إلى شواطئ لبنان وقفت الحركة الإسلامية بكل قواها تجابه هذه الإجراءات الاستعمارية، مما حمل السلطة الحاكمة على الزج بقادتها في معتقل (الجفر) الصحراوي.

وهكذا تواصل الحركة الإسلامية بعين ساهرة كشف ما يبئته الاستعمار من مؤامرات لإخضاع الأردن للنفوذ الغربي وأطماع إسرائيل..

من تاريخ الحركة السياسية في سوريا

لم يكن في سوريا حتى مطلع القرن العشرين تيار إسلامي واضح المعالم... وإنما كانت هنالك دعوات دينية وطرق صوفية مقتصرة في دعوتها على بعض جوانب الإسلام...

وفي عام ١٩٣٣ شعر المرحوم (الدكتور مصطفى السباعي، وكان حينئذ شاباً يافعاً) بحاجة الإسلام إلى جماعة تؤمن به وتحمله وتدافع عنه، فبدأ بدعوة الناس إلى دين الله، يبصرهم به ويجمعهم عليه.

وفي عام ١٩٣٧ تأسس في حلب (دار الأرقم) وفي دمشق (الشبان المسلمون) وفي حمص (جمعية الرابطة) وقي حماه (الأخوان المسلمون).

وفي عام ١٩٤٤ كانت الحركة قد استكملت عدتها واتخذت شكلاً تنظيمياً واحداً في كل المدن السورية، وانتُخب الأستاذ السباعي مراقباً عاماً لها.

وفي عام ١٩٤٨ حدثت كارثة فلسطين، وهب الشعب السوري يطالب بالتطوع للقتال، وأخذت الحركة الإسلامية زمام المبادرة، وفتحت مراكز التطوع في كل مكان. ولما تم للحركة الإسلامية إعداد كتائبها خرجت بهم إلى أرض الجهاد، وكان من نصيبها الدفاع عن بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وكان القتال يدور فهيا من بيت إلى بيت ومن شارع لشارع. ولقد أبلى المجاهدون بلاءً حسناً، وسقط منهم عشرات الشهداء وأودع أكثرهم الثرى بجوار المسجد الأقصى، منهم:

الشهيد ضيف الله مراد - الشهيد تيسير طه - الشهيد محمد عينوص - الشهيد محمد عرنوس - الشهيد محمود دندشي - الشهيد محمد قباني - الشهيد نايف حسن عودة - الشهيد راضي الجوهري - الشهيد محمد طالب - الشهيد محمد صباغ.

وفي ميدان الإصلاح السياسي لعبت الحركة الإسلامية في سوريا دوراً هاماً.. فدعت أول ما دعت إلى إقامة حكم صالح يزيل عن سوريا مخلفات الاستعمار... ووجهت النصيح إلى الحكومات الوطنية المتعاقبة، وقاومت كل انحراف في الحكم والإدارة، ولم تجامل في ذلك رئيساً ولا حكومة ولا زعيماً.. وحاربت الحركة مشروع سوريا الكبرى لأنه مشروع استعماري يجعل من سوريا نقطة ارتكاز للنفوذ الغربي في الوطن العربي.

وفي عام ١٩٤٩ ساهمت في انتخابات (الجمعية التأسيسية) ونجح عدد من رجالها واشتركوا في وضع (الدستور) وصبغوه بالصبغة الإسلامية...

وفي عهد أديب الشيشكلي عام ١٩٥٢ تعرضت الحركة لمضايقات شديدة وفُرضت الرقابة على قاداتها، وسرح الدكتور السباعي من عمله في الجامعة السورية، ثم نفي من البلاد.

وفي عام ١٩٥٨ كانت الحركة الإسلامية في طليعة الحركات التي أيدت (الوحدة الثنائية) بين مصر وسوريا... ويوم تجمعت الفئات الحزبية السورية كلها في (نادي الضباط) بدمشق لتوقيع وثيقة الانفصال كانت الحركة الإسلامية الوحيدة التي رفضت بموضوعية وإصرار... واستطاعت الحركة الإسلامية في هذه الفترة أن تستقطب تأييد القوى الشعبية كلها، وتكون تياراً إسلامياً قوياً ظهرت نتائجه في أول انتخابات نيابية بعد الانفصال عام ١٩٦١.

وفي أعقاب حركة الثامن من آذار التي أطاحت بالعهد الانفصالي تعرضت الحركة ولا تزال تتعرض لمحن متلاحقة على يد الحزب الحاكم في سوريا...

وفي عام ١٩٦٤ توفى مؤسس الحركة الإسلامية الدكتور مصطفى السباعي مخلفاً وراءه تراثاً إسلامياً ضخماً من الكتب والمؤلفات وحركة إسلامية هي أمل سوريا اليوم..

ومن مؤلفات السباعي:

السنة ومكانها في التشريع الإسلامي

الأحوال الشخصية

المرأة بين الفقه والقانون

أحكام الصيام وفلسفته

أحكام الأهلية والوصية

أحكام المواريث

الوصايا والفرائض

مشروعية الإرث في الإسلام

نظام السلم والحرب في الإسلام

أخلاقنا الاجتماعية

ومجلة حضارة الإسلام التي لا تزال تصدر حتى اليوم.

كلمة أخيرة:

وأخيراً، فإن الحركة الإسلامية الحديثة التي كان لها فضل السبق في ميدان الجهاد، ومقاومة أعداء الإسلام في الداخل والخارج، والتي قدمت خلال نصف قرن من الزمن قوافل متلاحقة من شهدائها الأبرار. جديرة بأن يزاح عن تاريخ المشرق ستار الأباطل وتبدد عن أمجادها حجب الدس والافتراء..

لقد مرت بالأمة فترة سوداء قائمة تمكن فيها أعداء الإسلام بما يملكون من وسائل الدعاية والإعلام، تمكنوا من خداع الجماهير وتضليل الرأي العام... تمكنوا من قذف المؤمنين الأبرياء وتشويه سمعة المجاهدين الأتقياء الأنقياء... تمكنوا من وصمهم بشتى التهم والأراجيف دون أن يراعوا في ذلك إلا ولا ذمة ودونما خوف من الله المنتقم الجبار..

لقد حارب الإسلام ودعاته أعداء الإسلام في الشرق والغرب في الداخل والخارج... حاربهم الاستعمار متجمعاً... وحاربهم الإقطاعية متكثلة... وحاربهم الرأسمالية طاغية... وحاربهم الشيوعية متجنية... وحاربهم الفساد والشر والطغيان في كل مكان...

وأصبح من واجب الجماهير المسلمة أن تعرف (الحركة الإسلامية) على حقيقتها، فلا تنخدع بعد اليوم بدعايات المغرضين ووشايات الحاقدين: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: ٥).

وأخيراً، فليعلم المسلمون في شتى ديارهم وأقطارهم أن الحرب على الحركة الإسلامية هي في حقيقتها حرب على الإسلام نفسه.... وأن أعداء الإسلام من الملحدين والشيوعيين والغربيين وأتباعهم وأشياعهم مصممون على اختلاق كل مبرر لضرب الحركة الإسلامية ليصلوا من وراء ذلك إلى ضرب الإسلام..

والأغرب من كل هذا قيام بعض المحسوبين على الإسلام في بلاد الإسلام بالترويج لهذه الاتجاهات الهدامة وتأييدها ومناصرتها، بل والباسها ثوب الإسلام، والإسلام منهم ومنها براء..

لقد هان الإسلام على الناس إلى درجة أنهم أصبحوا في شك من كل ما يتصف بالإسلام أو يحمل اسمه، وهذا ما جهد للوصول إليه أعداء الله منذ زمن بعيد...

وأخيراً... فإن الصراع المصيري الذي يخوضه الإسلام مع القوى المادية العاتية والحركات الشعبوية الحاقدة ليس إلا صورة مصغرة عن التآمر الذي استقطب معاول الهدم في الشرق والغرب، والذي لا يهدف سوى استئصال الوجود الحركي للإسلام...

ومن هنا يتحتم على المسلمين . كل المسلمين . تحديد موقفهم من هذا الصراع... فإن لم يكونوا في صف الإسلام فقد وقفوا في صف أعدائه... ونذكرهم بقول الله عز من قائل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نَغْنِيَّ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ هُمْ الْخٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ (المجادلة ١٤-٢٢).

الانقلابية

في الإسلام والاتجاهات الحديثة

إن ظواهر الانقلابية السياسية والفكرية والعسكرية تسود العصر الحديث... ففي كل قطر من أقطار آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية مظهر من مظاهر الثورة والتمرد على أركان الوجود التقليدي...

والمنطقة العربية، تعيش منذ عام ١٩٤٨ أزمة استقرار في حياتها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، بسبب ما مر بها من اضطرابات وما تتابع عليها من أحداث...

لقد عانت هذه المنطقة من الانتكاسات في ماضيها وحاضرها وما دمر فيها الروح المعنوية، وعاد بالخراب والبؤس على حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إن عدم تركيز المفاهيم على فلسفة حياة صحيحة جعل كل المحاولات (الانقلابية) هامشية وسطحية وجانبية... ذلك أن كل محاولة إصلاحية لا تقدم حلولاً جذرية للقضايا التي فشلت سابقتها في حلها، ستعمل . حتماً . على تعقيد هذه القضايا، وبالتالي ستتسبب في نشوء مشكلات جديدة وخطيرة...

إن النقطة التي تنطلق منها كل مشكلاتنا وتتأثر بها جميع أوضاعنا، هي أننا . حتى الآن . من تجاربنا الكثيرة المتلاحقة لم نعرف من نحن وماذا نريد؟؟

إن (رايشنوخ) يقرر في دراساته، بأن التقدم الفكري يجد مكانه أولاً في الأسئلة التي وضعها المفكرون، وفي القضايا التي طرحها الفلاسفة للبحث، وليس في الأجوبة... فالسؤال الصحيح هو مفتاح كل تطور صحيح..

وأمتنا . في عصرها الحديث . يجب أن تطرح على نفسها سؤالين اثنين:

من أنا؟

وماذا أريد؟

والجواب على هذين السؤالين ينبغي أن يصدر . بعمق . عن شخصية هذه الأمة وخصائصها وعن تراثها العقيدي والفكري والأخلاقي..

أما الأجوبة التي تُفرض على الأمة فرضاً وهي لا تمثل شخصيتها، ولا تعبر عن أصالتها، فستكرس الدوران في حقلة مفرغة من التجارب الفاشلة المدمرة...

جهل وتضليل:

ظل الاعتقاد السائد لدى جمهور المسلمين أن الإسلام دين تعبدى لا علاقة له في شؤون الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى قيام (الحركة الإسلامية) وظهور الوعي الإسلامي في العصر الحديث.

فالعالم الإسلامي بسبب من تأثره بالحضارة الغربية ولوثاتها الجانحة اعتبر خروج أوروبا والعالم الغربي على الكنيسة وحده من نفوذها السياسي، بل وفصله السلطة الأكليرية عن السلطة الزمنية، منولاً ينبغي النسخ عليه، وقاعدة عامة يجب الصدور عنها في فصل الدين . كل دين . عن الدولة، وجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

وبسبب من جهل المسلمين . كذلك . بخصائص دينهم وآفاق شريعتهم... و بانتقال القيادة الفكرية والسياسية منهم إلى غيرهم... و بانتقاض الحكم الإسلامي في العهد العثماني، والذي كان على علاته ومساوئه مظهراً للحاكمية الإسلامية والوجود السياسي للإسلام...

بأسباب من هذه وغيرها أصبح تصور المسلمين وفهمهم للإسلام لا يتفق وجوهر هذا الدين وحقيقته في شيء...

الإسلام منهج انقلابي

وعندما قامت الحركة الإسلامية في مطلع القرن العشرين تمسح عن الدين ركام الجهل والتضليل كانت حريصة غاية الحرص على معالجة هذه المشكلة بادئ ذي بدء، وتركيز صورة الإسلام الصافية الصحيحة في الأذهان..

فالإسلام منهج حياة... هكذا يجب أن يفهم.. وهكذا يجب أن يطبق... وهو ثورة وانقلاب... ثورة لا تقتصر على جانب من جوانب الحياة، وإنما تمتد إلى كل جانب... وانقلاب لا تعبر عنه (كلمة أو شعار) بل هو تحويل (كيفي) للمجتمع وتغيير (جذري) لقواعده وأصوله.

فالانقلاب الإسلامي لا يتحقق بتغيير نظام أو تعديل دستور... ولا يتم برفع راية وإذاعة بيان... وإنما يتحقق ويتم باستكمال المقومات الفعاليات والخصائص الإسلامية

في شخصية الأمة... يتم (بقوامه) النهج الإلهي (وحاكميته) للمجتمع... وبالتالي تقويم التصورات . كل التصورات . وخضوع التصرفات . كل التصرفات . لهذه القوامة والحاكمية.

خصائص الانقلابية الإسلامية

لهذا كانت (انقلابية) الإسلام شاقة وتتطلب الكثير من الكفايات والجهود؛ فالانقلابية الإسلامية تختلف في خصائصها وطبيعتها عن سائر (الحركات الانقلابية)، وأهداف الانقلابية الإسلامية غير أهداف الانقلابية الحزبية والسياسية والعسكرية... وما تستسيغه هذه قد يمجه ذوق الإسلام ويأباه... فالإسلام نسيج وحده في (تصوره العقيدي) وفي (تخطيطه الانقلابي).

الكلية:

إن الإسلام في جزئياته وكملياته وأحكامه وأصوله وتشريعاته مبدأ وجداني... فهو يحرص أشد ما يحرص على تحريك عوامل الخير في أعماق النفس البشرية، وإقامة رقابة ساهرة تقي الإنسان غوائل الإلتواء والانحراف...

والإسلام ليس مجرد نظام من النظم لا يتجاوز في مداه الإصلاحية الانقلابية دائرة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... وإنما هو بحكم طبيعته منهج كلي وشامل... وهذا ما يجعل انقلابيته متفردة في النهج والأسلوب...

فالانقلاب الإسلامي لا يمكن تحقيقه بطرق متصنعة مرتجلة، ولا بخطط عسكرية خاطفة، بل لا بد لذلك من عوامل ومقومات يتحقق بها تغيير الأسس الفكرية والخلقية والثقافية والنفسية التي يقوم عليها بناء المجتمع الجاهلي...

العقائدية:

وعقائدية الإسلام هي التي تحدد طبيعته الانقلابية وترسم بالتالي مناهجه ومخططاته، فالإطار الذي يحدد به الإسلام ميدان العمل الإسلامي يرتكز على دعامين أساسيين:

أولاً: سلامة الغاية التي يستهدفها روح العمل الإسلامي والتي لا تعدد بها مقاييس الانقلابية الحزبية والسياسية والعسكرية.

ثانياً: سلامة الوسيلة وضمن مشروعيتها وموافقتها لروح الإسلام حتى تتحقق صيانة الانقلاب الإسلامي من كل انتكاس أو ارتكاس..

فالإسلام لا يعتبر الوصول إلى الحكم (غاية) بل وسيلة لإقامة أمر الله وتنفيذ حاكميته... فإذا كان الوصول إلى الحكم لا يضمن تحقيق هذه الغاية، فهو وعدمه سواء..

الإنسانية:

ومفهوم (الانقلابية) في الإسلام كذلك . مفهوم إنساني . لا يسلك إلى الخير سبيل الشر، ولا يدعو إلى الفضيلة بلسان الرذيلة، ولا يشيد البناء بالجماعم والدماء... فبينما يهدد (تكاتف) الزعيم الشيوعي بإبادة وإفناء كل الروس الذين تجاوزوا الخامسة والعشرين لأنهم غير قابلين لتمثيل الأفكار الماركسية، يطالعنا الإسلام بمواقفه الإنسانية الكريمة في معاملة الآخرين.

(عندما فتح المسلمون مكة، أتى أبو بكر بأبيه يقوده . وكان لا يزال مشركاً . فلما رآه الرسول ﷺ قال : " هلا تركت هذا الشيخ في بيته حتى أكون أنا الذي آتية فيه" ... فقال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه... فأجلسه الرسول بين يديه، ثم مسح على صدره، وقال له: "أسلم" فأسلم).

بهذا تكون انقلابية الإسلام.. إنسانية في خصائصها أخلاقية في طبيعتها... عقائدية في وسائلها وغاياتها...

الانقلابية في مفهوم الاتجاهات الأخرى

في المفهوم الشيوعي:

تعتمد (الانقلابية) في الحركة الشيوعية أول ما تعتمد على دفعة الأحقاد التي تستثيرها وتذكيتها في نفوس العمال والكادحين، وبالتالي على بث روح الانتقام والتشفي بين طبقات المجتمع الواحد كسبيل لقيام الثورة العملية وتحقيق الانقلاب الشيوعي... وإلى هذه الغاية يوجه ماركس خطابه للعمال، فيقول : (سيكون عليكم أن تجتازوا خمسة عشر عاماً أو عشرين أو خمسين من الحروب الأهلية بين الشعوب لكي تصبحوا

أهلاً للسلطة السياسية^(١)، وهذا ما نصت عليه الفقرة الشيوعية التالية: (وبالتالي فالانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية وتحرير الطبقة العاملة من النير الرأسمالي يمكن تحقيقها لا بتغييرات بطيئة ولا بإصلاحات، بل بتغيير كفي للنظام الرأسمالي، أي بالثورة^(٢)).

وتعتمد (الانقلابية) في الحركة الشيوعية على وسائل العنف والقسر في سبيل تحقيق أهدافها وغاياتها... ويبدو هذا جلياً وواضحاً في معظم بياناتها وكتبها، يقول لينين: (إن الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون تحطيم جهاز الدولة البورجوازي بالعنف وإبداله بجهاز جديد)^(٣)، ويقول (بابون) : (اذبحوا المستبدين والأشراف والمليون المذهبين). وقول (برودون): (يجب على العالم أن يدرك مرة واحدة وأخيرة بأن ليس من علاج ضد الارستقراطية سوى الإفناء).

ولعل في الوسائل الحقيرة الملتوية التي تعتمدها الشيوعية في تحقيق الانقلاب الماركسي ما يبين الفرق الشاسع بين طبيعتها وطبيعة الإسلام الانقلابية... يقول لينين : (يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل... فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية.. يجب أن يكون مفهوماً أن الشيوعية غاية نبيلة.. وأن تحقيق الغاية النبيلة يتطلب في كثير من الأحيان استخدام وسائل غير نبيلة... ولهذا فإن الشيوعية تبارك شتى الوسائل المناهضة للأخلاق ما دامت هذه الوسائل تساعد على تحقيق أهدافنا الشيوعية...).

الانقلابية في مفهوم الثورة الفرنسية:

والثورة الفرنسية التي كانت انتفاضة في وجه الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي اتبعت وسائل غير شريفة ومخالفة كل المخالفة للشعارات والمبادئ التي رفعتها....

يقول (مارا) ما هذا الظلم؟ من هو الذي لا يستطيع أن يشهد بأنني أريد قطع الرؤوس حياً بخلاص الكثيرين..

^١ - كال ماركس، كشف الستار عن محاكمة الشيوعيين في كولوني.

^٢ - المادية الديالكتيكية، صفحة ٢٥.

^٣ - الثورة البروليتارية، المجلد ٢٢ ص ٣٤٢.

ويحرض (لوثر) لإخماد الثورة الفرنسية، فيقول : (من يستطيع، فليقتل، فليخنق، فليذبح سراً أو علانية... إذن فاقتلوا واذبحوا واخنقوا ما طاب لكم هؤلاء الفلاحين الثائرين...).

الانقلابية في مفهوم البروتوكولات الصهيونية:

والحركة الصهيونية تسوغ كل الفظائع والمفاسد وأساليب المكر والخداع من أجل قيام (مملكة يهوذا) وإنشاء (الدولة اليهودية العالمية).

ويكفي أن ننقل بعض الفقرات والمقاطع من (بروتوكولات حكماء صهيون)⁽¹⁾ لنتبين طبيعة (المفهوم الانقلابي) في الحركة الصهيونية.

من فقرات البروتوكول الأول:

(إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء... والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسي بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه... ولا بد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة، وأنها تبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم).

(إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد..)

(يجب أن يكون شعارنا (كل وسائل العنف والخديعة)... إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير.. لذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا..)

من فقرات البروتوكول الثالث:

(ينبغي أن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يوجبها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هي وسيلتنا التي نكتسح بها بعيداً كل البعد من يصدوننا عن سبيلنا).

(وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا (العالمي) سَنتمسك بهذه الوسائل نفسها، أي نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا..)

¹ - كتاب الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، تأليف محمد خليفة التونسي.

من فقرات بروتوكول السابع

(في كل أوروبا . وبمساعدة أوروبا . يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة، فإن في هذا فائدة مزدوجة: فأما أولاً . فهذه السوائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد.. وأما ثانياً . فبالمكائد والدسائس سوف نصطاد جميع الحكومات.. ولكي نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوي على كثير من الدهاء والخبث...)

من فقرات البروتوكول الحادي

(إن الأمميين غير اليهود كقطيع من الغنم.. وإننا الذئب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئب إلى الحظيرة؟؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء... وإلى هذا المصير سيندفعون، فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم... ولست في حاجة ملحة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة؟).

من وقائع الانقلابين العربية

والبلاد العربية شهدت في السنوات العشر الماضية وقائع وأحداث (انقلابية) أقل ما يقال فيها أنها دنيئة وخسيصة وأنها (لا عقائدية ولا أخلاقية ولا إنسانية). كانت كل الحركات الانقلابية (الوطنية، والقومية، والشعبوية، والاشتراكية، والشيوعية) عطشى للدماء، للقتل، للسحل، لهدر الكرامات، لاستباحة الأعراس، للتمثيل بالجثث، ولحرق الأحياء؟؟؟ فماذا يقال عن (انقلابات) تعمد إلى الرؤوس فتقطعها، وإلى الأجساد فتمزقها، وإلى البطون فتبقرها، وإلى الجماجم فتشمها؟ لقد دلت الأرقام والحقائق أن هناك مئات القتلى دفنوا بدون مبرر، وبدون محاكمة، بل من جراء التعذيب المبرح في مكاتب التحقيق، ومقرات (الحرس القومي)؟؟؟ إن الوصف لهذه الأحداث والوقائع يبقى مجرد كلمة لا تعطي الصورة الحقيقية لمن أراد الوصول إلى تصور رقمي صحيح وكامل..

إن هذه الاتجاهات الانقلابية المنحرفة تدور جميعها في حلقات مفرغة من المآسي والمجازر البشرية الرهيبة... في حين تحتاج الأمة إلى وضع يضمن لها الاستقرار

والاطمئنان ويزيل عن نفسها كابوس البؤس الجاثم فوقها... وضع سليم صحيح لا يفرض بالحديد والنار ولا بالمدافع والدبابات... وضع تحميه نفوس الناس وتحرسه قلوب الجماهير..

وهذا الوضع لن يتحقق إلا بالإسلام وبالانقلاب الإسلامي...

الأهداف الكبرى لانقلابية الإسلام

رأينا فيما تقدم كيف أن الإسلام ينفرد بمفهومه الانقلابي عن سائر الاتجاهات والحركات الحزبية والسياسية والعسكرية، وأن الغاية التي يسعى إليها الإسلام لا تبرر استخدام وسائل منحرفة لا توافقها في المضمون والجواهر... وفيما يلي سنعرض لبعض الأهداف التي تحققها انقلابية الإسلام..

في المجال العقيدي:

فالعقيدة هي المرآة التي تنعكس عليها شخصية الأمة وأخلاقها ومبادئها... وكلما كانت هذه المرآة صافية رقراقة كانت شخصية الأمة خلابة معطاءة.. وهذا ما جعل الإسلامي يهتم أول ما يهتم بتركيز التصور العقيدي السليم في أذهان الناس..

سوء أوضاعه (الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية) هي في الحقيقة انعكاس طبيعي لهذا (الخواء العقيدي) الذي خلفته الحضارة الغربية وأصلته الفلسفة الماركسية.. إن جميع المقدرات (العلمية، والمادية، والفنية، وغيرها: من فائض الإبداع المادي لم تتمكن من توفير الطمأنينة والاستقرار في هذا المجتمع... وإحساس الإنسان بجوعه النفسي والروحي أخذ في الازدياد يوماً بعد يوم.. ذلك أن حياته المجدية أصبحت تسير سيراً (آلياً) مملاً لا يفقه له معنى، غير ما يراه أمامه من مرثيات تروح وتجيء في طلب الرزق، وتأمين مطالب الجسد...

لهذا حرص الإسلام . من أول الطريق . على حل هذه المشكلة حلاً جذرياً، يتذوق معه الإنسان طعاماً جديداً لهذه الحياة... فيدرك الغاية من وجوده على الأرض، ويدرك (القدرة الحقيقية التي أوجدته.. إنه لم يُخلق عبثاً... ولم تخلقه المادة الصماء... وهو لم يوجد صدفة في هذه الأكوان... بل إن الله خلقه بقدرته، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له

ملائكته، وجعل له السمع والبصر والفؤاد... وسخر له ما في البر والبحر... وجعل بقاءه في الدنيا مرهوناً بما قدر له، كما جعل مصيره في الآخرة بما قدمه من عمل.

تلك هي عقيدة الإسلام التي تربط الإنسان الضائع بقوة الله وبمنهج الله وبالخط الذي رسمه الله في هذه الحياة حين قال ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣).

في المجال الأخلاقي:

إن نقطة الخلاف الرئيسية بين المنهج الإسلامي وسائر النظم الحديثة، أنه مبدأ أخلاقي وأنها نظم مادية غير أخلاقية.

ومن هذه النقطة بالذات تنشأ سائر المضاعفات وتكاثر مختلف الأضداد بين طبيعة الانقلاب الإسلامي وأهدافه وبين طبائع الانقلابات الأخرى وأهدافها...

فالانقلاب الإسلامي حين أوضح الغاية التي جاء لتحقيقها كان صريحاً مع طبيعته الأخلاقية إلى أبعد حدود الصراحة ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق...))

والأخلاقية في الإسلام ليست نظاماً خاصاً، أو مجموعة تعاليم ومثل منفصلة عن أجزاء المنهج الإسلامي كما قد يظن كثير من الناس... وإنما هي معطيات خيرة وروح كريمة تناسب في كل جانب من جوانب هذا المنهج..

ومن هنا كانت أخلاقية الانقلاب الإسلامي تعني إرساء القيم الإنسانية الرفيعة في كل ناحية من نواحي الحياة، اجتماعية كانت أم اقتصادية أم سياسية..

فالحكم الإسلامي.. لا يقوم على (الشورى) إرضاء لخواطر الشعب، وتملقاً لعواطف الجمهور... بل لأن الشورى مبدأ أخلاقي وسواه من أنظمة الحكم (مبادئ لا أخلاقية) كالسلط والتحكم والديكتاتورية..

والإسلام حين ينادي (بالعدالة الاجتماعية) فلا ليطرح بها شعاراً للدعاية والمتاجرة والاستهلاك، أو ليستميل بها العمال والكادحين... بل لأنه يرى في الظلم الاجتماعي والنظام الرأسمالي ظواهر غير أخلاقية مدمرة..

والإسلام حين يعلن (المساواة الإنسانية) بين البشر أجمعين بيضهم وسودهم، عربهم وعجمهم، فلا يفعل ذلك حرصاً على تأييد الملونين والمستضعفين، بل لأن في التمييز العنصري والتفاوت الطبقي بواعث (لا أخلاقية).

وهكذا ترسم أخلاقية الإسلام في جميع مبادئه ونظمه وتشريعاته... ومن هنا كانت أخلاقية المنهج الإسلامي ترفض رفضاً قاطعاً جميع الوسائل والطرق الانقلابية غير الأخلاقية... فالثورات والثورات والانقلابات التي تعتمد على الاغتيال والقتل والتدمير والإكراه، أساليب وحشية لا ترضى عنها أخلاقية الإسلام وتأبأها طبيعته الإنسانية السمحة...

في المجال الفكري والتشريعي

لم تقتصر انقلابية الإسلام على ربط الضمير الإنساني بالله عز وجل عن طريق (العقيدة)... أو على إرساء القيم الإنسانية عن طريق (الأخلاق)... وإنما رافق ذلك كله انقلاب في التفكير والتصور شمل كل ناحية من نواحي الحياة، الفردية والجماعية، الداخلية والخارجية، التوجيهية والتشريعية...

وكانت الثورة الانقلابية التي أعلنها الإسلام على الفكر الجاهلي عنيفة شعواء.. بدأها بتنظيف العقل البشري من الوهم والخرافة، وتحرير التصور الإنساني من كل ما يلوث صفاءه ونقاءه...

كان الفكر العربي قبل الإسلام محدود الآفاق، قبلي النزعة. خلا بعض اللغات الإنسانية التي عرض لها الشعر الجاهلي مما لا يمكن اعتبارها بحال من خصائص الفكر الجاهلي. وإنما هي مظهر من مظاهر التأثير بمخلفات النصرانية واليهودية والفلسفات القديمة...

فالمفهوم السياسي عند العرب كان يقوم على اعتبار (القبيلة) هي الوحدة السياسية... وكانت العصبية هي الرابطة التي تجمع بين أفرادها أو العشائر المنتمية إليها... فحرص الانقلاب الإسلامي على مكافحة هذه النزعة وبث روح الانفتاح... تمهيداً لإعلان أول وحدة سياسية وعقيدية في حياة الناس.. فكان من آثار هذا الانقلاب الفكري الذي حققه الإسلام أن أصبح العرب يعتبرون التضامن والاتحاد واجباً مقدساً تمليه أسرة الدين الجديد... وبينما كانت علائقهم السياسية مبينة على ثارات الجاهلية إذا بالإسلام يمسح عن هذه العلائق كل ما يشوبها، ويسكب فيها من روح الأخوة والألفة ما جعلها أمتن العلائق وأقواها، وجعل الوحدة الإسلامية أرسخ الوحدات وأعماها:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

وأما المفهوم الاجتماعي عند العرب، فلم يكن أسلم مفهومهم السياسي... وإذا كانت العصبية القبلية عنوان حياتهم السياسية، فإن النزعة الطبقية والعنصرية ميزة حياتهم الاجتماعية، حتى بلغ التفاوت الطبقي عندهم حداً لا يوصف... فعمد الإسلام فوراً على إذابة هذه الفوارق الاجتماعية وتحرير الأرقاء والعبيد وإشاعة روح المساواة على ضوء القاعدة الإسلامية الكريمة : ((أيها الناس، إن ربكم واحد.... وإن أباكم واحد... كلكم لآدم وآدم من تراب.. أكرمكم عند الله أتقاكم... ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى)).

ويكفي انقلابية الإسلام أثراً في حياة العرب الاقتصادية أنها أرست أسس التكافل الاجتماعي والمادي، ووضعت من النظم والتشريعات ما يحقق العدالة الاجتماعية والرخاء... فإذا بالمجتمع العربي الجاهلي الذي كان يئن من الفاقة والعوز ويتكفف فارس والروم... إذا بهذا المجتمع تتدفق فيه الخيرات وتعمه البحبوحة والرفاه ويأتيه الرزق رغداً من كل مكان...

الخطة الانقلابية

إذا كان الإسلام منهجاً انقلابياً، فإن تحقيق هذا المنهج يتطلب تجمعاً حركياً انقلابياً... أي إن الحركة التي تتصدر العمل الإسلامي ينبغي أن تكون في مستوى تحقيق الانقلاب الإسلامي وعياً ونهجاً وكفاية..

إن الحركة الإسلامية أحوج ما تكون إلى تخطيط انقلابي تبلغ به مرحلة التنفيذ العملي لأهدافها ومبادئها.. وأعني بالتخطيط الانقلابي "نظرية الحركة وأسلوبها في تغيير واقع إنساني قائم بآخر منشود... بكل ما يقتضيه ذلك من فهم شامل ودقيق للواقع القائم، وتقدير واع للقوى والعوامل التي تحركه... وتصور عميق للواقع الإسلامي المنشود، ومدى ما يحتاجه من كفايات وإمكانيات".

وينبغي أن يكون في مضمون خطة الانقلاب الإسلامي حرص الحركة الإسلامية على أن تتولى هي بنفسها تحقيق منهجها في الحكم الإسلامي... وليس من الإخلاص والتجرد في شيء. كما يتصور البعض. زهداها في تولي الحكم.. ذلك أن العالم والتاريخ لا يعرفان حركة على الإطلاق قدمت عصارة نضالها وكفاحها لغير المؤمنين بأهدافها الملتقين معها فكرياً وعقيدياً وأخلاقياً وسياسياً... فالثورة الفرنسية كانت أمنية من الأمنيات التي عمل لها روسو وفولتير ومنتسكيو... والانقلاب الشيوعي كان ثمرة

المخطط الذي وضعه ماركس ولينين... والنازية الألمانية لم تظهر إلا في أرض غزاها هيجل وفيخته وغوته ونتشيه...

الطليعة المؤمنة

إن الخطة (الانقلابية) التي اعتمدها رسول الله ﷺ كانت غاية في الدقة والإحكام... ولا أظن الحركة إلا بالغة أهدافها ومحققة غاياتها إن هي التزمت نفس الطريق..

كان العنصر الرئيسي والأساسي في خطة الانقلاب الإسلامي الأول يتمثل في إعداد (الطليعة القيادة المؤمنة) المرشحة لحمل تبعات العمل والتنفيذ... إعدادها نفسياً ومعنوياً وأخلاقياً... وإعدادها فكرياً وعملياً... وإعدادها إيمانياً وجهادياً... للقيام بالدور الكبير..

والحركة الإسلامية . في العصر الحديث . إن لم تعبئ في أولى مراحلها (مخزون) الكفاح للمدى الطويل، فستستنفذ قوتها بسرعة في أول الطريق... وتكون بذلك قد أصابت الإسلام مقتلاً وحكمت على نفسها بالإعدام...

إن الإسلام ليحتاج في هذه الفترة إلى (طليعة) على مستوى جيد من الإعداد والتكوين... طليعة نذرت نفسها لهذا الدين.. طليعة راسخة العقيدة والإيمان، ثابتة القلب والجنان.. طليعة سامية الخلق، عميقة الإدراك، ماضية العزيمة... طليعة تعيش الإسلام بكل وجودها وتمنحه كل وجودها. ومثل هذه الفئة لا يمكن أن تصنعها الأجواء العاطفية والمناورات السياسية، كما لا يمكن أن تخلقها المناهج السطحية والعفوية، إن لم تكن قد صاغت العقيدة ونسجت جوانب شخصيتها مبادئ الإسلام وأخلاقه ومثله... ولو لم تكن طليعة الإسلام في عهد النبوة على هذا المستوى من الإعداد لما قامت للإسلام قائمة، لما خطت دعوته خطوة واحدة إلى الأمام فضلاً عن بلوغها أطراف المعمورة..

ولقد استنفدت مرحلة التكوين من حياة النبوة ما لم يستنفده عمل آخر... ولكنها أسفرت في النهاية عن حصيلة مباركة أمدت الحركة الإسلامية بأفذاذ الرجال مدى طويلاً من الزمن.

المناسِب

وإذا كانت خطة الانقلاب الإسلامي في عهد النبوة قد حرصت أشد الحرص على إعداد الطليعة الإسلامية... فإنها قد حرصت كذلك، وبعد ذلك على انتقاء المناخ المناسب، والمكان الصالح لقيام الانقلاب الإسلامي...

وهذه المبادرة من الرسول ﷺ لفتة إلى اللامركزية في العمل الإسلامي... وإشارة إلى أن إقامة الحكم الإسلامي قد يكون سهلاً وممكناً في مكان وصعباً ومستحيلاً في آخر... وعندها يصبح من الضروري إفراغ الجهد فيما هو ممكن وميسور حفاظاً على الطاقات والأوقات من الضياع والبوار..

وهذا المعنى بالذات فرض وجود وحدة تخطيط للعمل الإسلامي في العصر الحديث... من شأنه أن يوجه نشاط التجمعات الحركية جمعاء، ويعمل على صب الجهد حيث ينفع الجهد، وتعبئة القوى حيث يقدر النجاح، وتمكين الغرس حيث يؤمل الإثمار.. إن هذه تذكرة، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً، قد بلغت اللهم فاشهد.



١	المقدمة
٣	الإسلام بين المبدأ والتطبيق
Error! Bookmark not defined.	شبهات حول الإسلام
٤	عوامل نشوء هذه الشبهات
٥	خصائص المنهج الإسلامي
٥	الحاكمية لله:
٧	الشمول لا الجزئية:
٨	الفطرة لا التطرف أو المالمية:
٩	الاطمئنان العقيدى لا القلق الوجودى:
١٠	الانقلابية الجذرية لا الترقيع:
Error! Bookmark not defined.	الإسلام
١١	بين القابلية التطبيقية والنظرية الخيالية
١١	أولاً - في نطاق العقيدة:
١٢	ثانياً - في نطاق العبادة:
١٣	ثالثاً: في نطاق التشريع:
١٥	رابعاً - في نطاق الواقع:
١٥	الاتجاهات الحديثة والفضل التطبيقى.
١٨	كذب الغربىين في دعوى الحرية والسلام
١٨	الإسلام ضرورة...
١٩	الحركة الإسلامية بين الأمس واليوم.

١٩	حاجة التشريع إلى دولة
٢٠	بين العمل الفردي والعمل الحركي.
٢٠	الهدم والبناء عملية شاقة
٢١	نشأة الحركة الإسلامية الأولى
٢١	قواعد التنظيم الحركي
٢١	١ - الوعي العقائدي:
٢٢	٢ - التفاعل الحركي:
٢٣	المنجزات التي حققتها الحركة الإسلامية في صدر الإسلام.
٢٤	مفاهيم الحركة الإسلامية في العصر الحديث
٢٤	الوهابية والسنوسية:
٢٦	الحركة الإسلامية في الهند:
٢٦	الجماعة الإسلامية في الهند:
٢٧	الحركة الإسلامية في باكستان:
٢٨	الحركة الإسلامية في إيران:
٢٩	الحركة الإسلامية في اندونيسيا:
٣٠	الحركة الإسلامية في تركيا:
٣٠	الحركة الإسلامية في مصر:
٣١	دور الحركة الإسلامية الحديثة
٣٢	على الصعيد الفكري
٣٢	مفهوم الحركة للإسلام:
٣٢	النفس الإنسانية مركز الثقل:
٣٣	الحركة الإسلامية والحضارة الغربية:
٣٣	الحركة الإسلامية والإبداع المادي: عام ٢٠٠٩
٣٤	الحركة الإسلامية والشيوعية:
٣٤	الحركة الإسلامية والقومية:
٣٥	الحركة الإسلامية والوحدة:
٣٦	تراث الحركة الفكري:

- ٣٨ _____ على الصعيد السياسي
- ٣٩ _____ ١ - الحرب الدس على الفكرة الإسلامية:
- ٣٩ _____ ٢ - حربُ الشائعات على الحركة الإسلامية:
- ٤٠ _____ لمحات من تاريخ الحركة السياسية في مصر:
- ٤١ _____ جولة ثانية مع الإنجليز:
- ٤٣ _____ من هم شهداء عام ١٩٥٤:
- ٤٤ _____ محنة عام ١٩٦٥:
- ٤٦ _____ لمحات من تاريخ الحركة السياسية في العراق:
- ٤٩ _____ من تاريخ الحركة السياسية في سوريا:
- ٥٣ _____ الانقلابية في الإسلام والاتجاهات الحديثة
- ٥٤ _____ جهل وتضليل
- ٥٤ _____ الإسلام منهج انقلابي
- ٥٥ _____ خصائص الانقلابية الإسلامية
- ٥٦ _____ الانقلابية في مفهوم الاتجاهات الأخرى
- ٥٦ _____ في المفهوم الشيوعي:
- ٥٧ _____ الانقلابية في مفهوم الثورة الفرنسية:
- ٥٨ _____ الانقلابية في مفهوم البروتوكولات الصهيونية:
- ٥٨ _____ من فقرات البروتوكول الأول:
- ٥٨ _____ من فقرات البروتوكول الثالث:
- ٥٩ _____ من فقرات بروتوكول السابع:
- ٥٩ _____ من فقرات البروتوكول الحادي:
- ٥٩ _____ من وقائع الانقلابين العربية
- ٦٠ _____ الأهداف الكبرى لانقلابية الإسلام
- ٦٠ _____ في المجال العقيدي:
- ٦١ _____ في المجال الأخلاقي:

- ٦٢ _____ في المجال الفكري والتشريعي:
- ٦٣ _____ الخطة الانقلابية
- ٦٤ _____ الطليعة المؤمنة.
- ٦٥ _____ المناخ المناسب

